الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

حدود الخطاب الأدبي عند أبي حيان التوحيدي كتاب " الإمتاع و المؤانسة"

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
*- فريدة قارة

إشراف الأستاذ(ة):
*- هشام باروق

السنة الجامعية: **2016/2015**

العلم نور وفي الأجواء منتشر

والفخر بالعلم لا بالمال تفتخر

هو الضياء وأهل العلم نور هدى

أهلا وسهلا ومرحى يا معلمنا

أنت السناء وأنت الشمس والقمر

وكم صبرت وما ينتابك الخور

بشرك بشراك يا أستاذ ذاكرتي

فأنت تاج من الأزهار منتشر

إليك أستاذي: **"هشام باروق "**

شكر وعرفان

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النهار هو العلي القهار، الأول

والآخر والظاهر والباطن الذي أغرقنا بنعمه التي لا تحصى، ورزقه

الذي لا يفنى وأنار دربنا فله جزيل الحمد والثناء العظيم.

لله الحمد كله والشكر كله

أما ثانيه فيكون إلى الذي أضاء بعلمه عقل غيره إلى الذي هدى بالجواب

الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء

وبرحابته سماحة العارفين

إلى أستاذي "**هشام باروق**" أقول شكرا ثم شكرا

والشكر موصول إليكم أساتذتي

إليكم جميعا ألف شكر

فريدة – قارة

الإهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقها إلى من لا يمكن للأرقام أن

تحصي فضائلهما إلى والدي العزيزين أدامهما الله لي.

إلى أخوتي وأخواتي: حنان، حسام، خديجة، محمد، سماح.

إلى الأصدقاء: ابتسام، عيدة، أمال، أحلام، سعاد، لبنى،عقيلة

إلى خطيبي: حمزة

إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص أدب عربي دفعة

2016

إلى كل من سقط من قلمي سهوا

أهدي هذا العمل

أهديه لكل من يعرف "فريدة"

مقدمة

عَرف العصر العباسي ولادة للفكر والإبداع الأدبي، ولأن الذائقة الفنية وشروطها لا يمكن أن تأتي من خارج جغرافيا الموروث فقد تعاقبت عليه العديد من الأجيال التي ساهمت في إنعاش الحركة الأدبية فيه، وخصوصا في قرنه الرابع هذا القرن الذي شهد ولادة هي الأخرى لأديب متميز ألا وهو " أبو حيان التوحيدي"، فلا أنكر أنه لابد من القول أن من البداية كانت لدي رغبة في أن أتناول موضوعا في هذا الإطار –الأدب العربي في العصر العباسي– باعتباره قد وجد عناية من قبل النقاد والباحثين وكنت أعتقد ولا أزال أن الأدب العباسي حافل بالقضايا التي تتطلب دراسة علمية جادة وإن كان الطريق إليها محفوفا بكثير من الأتعاب.

فكرت أن أبحث في الخطاب الأدبي لدى "التوحيدي" لأنه إحدى دعائم التواصل المعرفي والشفوي في ظل الحضن الثقافي والحضاري في القرن الرابع، إضافة إلى أن هذا الأدب أسهم كثيرا في الثقافة والأدب، ومن خلال هذا اهتديت إلى "أبي حيان" وقد أغراني بدراسة أدبه عاملان جعلاني أقطع خط التفكير وأعزم على الموضوع المحدد:

أولهما: أن أبا حيان أديب القرن الرابع بلا منازع بفكره وأدبه .

وثانيهما: أنه متمكن في أدب المسامرات .

وهكذا وجدت نفسي أحدد موضوع بحثي تحت عنوان "حدود الخطاب الأدبي عند أبي حيان التوحيدي"، ولكي تكون لدراستي نتائج جديدة تمتعني بلذة الاكتشاف ارتأيت أن أركز على الجانب الفني لدى الأديب، وقد أكد هذا الرأي عندي أن أدب التوحيدي جدير بالدراسة بقدر ما هو جدير بها كتابه "الإمتاع والمؤانسة" لذلك كله حددت الموضوع نهائيا بعنوان "حدود الخطاب الأدبي عند أبي حيان التوحيدي" دراسة فنية تحليلية.

ولعل بعد هذا الطرح يظهر في الأفق تساؤلات كثيرة عن حياة هذا الأديب كيف عاش؟.

- هل للخطاب الأدبي تمركز جيد في إبداعاته؟.

- هل يمكن القول أن التوحيدي أحيا الأدب العربي بتفكيره؟.

إذ قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول مع مقدمة وخاتمة.

الفصل الأول: خاص بالأديب "أبي حيان"، إذ بالرغم من أن الدراسة فنية إلا أنه لا يمكن فصل المضمون عن الجانب النظري (حياة الأديب، بيئته...).

الفص الثاني: يتناول الخطاب بصفة عامة بمفهومه وأنواعه وتخصيص جانب للخطاب الأدبي مع مقوماته وركائزه.

الفصل الثالث: يكشف عن حدود الخطاب الأدبي في كتاب "الإمتاع والمؤانسة".

أما الخاتمة فتكشف نتائج البحث.

وللصعوبات التي تواجه الباحث نصيب من الذكر لعل أهمها التعرض لنوع من الإرهاق الذهني الذي يجر الطالب للعديد من المتاهات، أما البقية فإنني لا أجد ضرورة للتطرق إليها لا لأن العقبات لم تواجهني ولكن لأنني لا أعتبرها عقبة إنما هي جزء من عملية البحث ولعلها الجزء الأساسي فيه والتي لولاه لفقدت عملية البحث العلمي كثيرا من أهميتها ومتعتها الناتجة عن المعاناة.

اعتمدت بالإضافة إلى ذلك على العديد من المصادر والمراجع من بينها كتاب لدومينيك مانغونو "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب" وكتاب "سامي يوسف أبو زيد "الأدب العباسي – النثر".

ومما لابد من التعريج عليه أيضا في هذه الناحية أن هذه الدراسة لاقت عناية من طرف باحثين جدو و كافحو ليمدوا الأدب العباسي بثمار يانعة ولهم فضل السبق في ذلك.

وأخيرا وقبل أن أختم هذه المقدمة أرى من واجبي أن أسدي الشكر لمن يستحقه، ولذا فإنني أتقدم بالشكر لكل من ساعدني في هذا البحث أيا كان نوع المساعدة فأعترف بجميل أستاذي المشرف "هشام باروق" على ما قدم لي من نصح وتوجيه.

كما أشكر لجنة المناقشة على ما تكبدته من مشقة في قراءة هذه المذكرة.

ولعلي بهذه الدراسة المتواضعة حول أدب كأدب التوحيدي أكون قد أسهمت في إثراء هذه الحركة العلمية التي حمل لواءها القرن الرابع .

في الأخيرأرجو من الله أن أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة للخطاب الأدبي لدى التوحيدي ذلك قصدي ومبتغاي.

و الله من وراء القصد

الفصل الأول

"إن الأدب أجمل ما التحفته، وعرفته هذه الأمة"

" الفتح ابن خاقان"

توطئة:

يحظى التُراثْ العَربي بأدَباءه، الذين يبعثون فيه طَاقة حيوية دافعة تَخص كَافة التيارات الفكرية وكذا الإبداعية، فلَا يوجد ما هو أكثر صُعوبة في الفكر والفن من إعادة الاعتبار إلى شَخصية غَابت، غير أن ذاك الغيَاب لا يجعلنا نُنْكر تلك الآثَار الفَنية والمسَائل التي مسَتْ الثقافة الشَاملة عبر أقلَام ذالكم المبدعين.

لقد حَقق أُدباءُ العصْر العباسي ومن بينهم التَوحيدي فتْحًا جماليًا وعقليًا استجابت لهُ الروح العربية في مختلف عُصورها، لهذا نُحاول طرح بعض الاستفسارات عن هذا المُفكر:

- من هو هذا الأَديب؟
- هل أَصلُه مَعروف أَم لا؟
- كَيف حصل علومه؟
- أين يكمن جمال أسلوبه؟
- هل بمجرد وفاته مات معه الإبداع والجمال؟

المبحث الأول: أبو حيان التوحيدي

1- اسمه:

إِنَّ لاسم أبي حَيان تميزا عن غيره من الأَسماء فيعرف بـ: "علي بن محمد بن العبَّاس وكنيته أبو حيان، واشتهر لقبه التوحيدي (...) والظاهر أنَّ كنيته ولقبه قد غلبا على الاسم حتى في حياته وقيل في لقبه ونسبه إِنَّ أباه كان يبيع نوعا من التمر يسمى النَّوحيد. "[1].

وقَد ذكر ذلك **أحمد أمين** في مقدمة كتابه "الإمتاع والمؤانسة" عن كنيته ولقبه لكنه أغفل الإشارة إلى نسبه وأسرته حيث يقول في هذا المقام: "التوحيدي هو علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي ، مفكر إسلامي كبير وأديب فذ، ومثقف ملم بمعارف عصره من نحو ولغة وشعر وأدب وفقه وفلسفة وعلم وكلام وسياسة وفلك وهندسة ورياضيات"[2].

ويرى **الذهبي**" أنَّ التوحيدي هو الذي نسب نفسه إلى النَّوحيد مثلما سمي ابن تومرت أتباعه بالموحدين كما يسمي صوفية الفلاسفة أنفسهم بأهل الوحدة والاتحادية"[3].

يرجح بعضهم أنَّ التوحيدي ولد " في بغداد حوالي سنة 310 أو 311 هجرية على وجه التقريب من أبوين فقيرين، وكان والده تاجرا متنقلا، يبيع نوعا من التمر المعروف باسم التوحيد وإليه نسبت أسرته، وأصله غير معروف بدقة وهو ينتمي إلى أسرة متواضعة لم

---

[1]–واتيكي كميلة: الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة (مقاربة تداولية)، ط01، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، 2004م، ص17.

[2]–مقدمة أبي حيان التوحيدي ومسكويه: الهوامل والشوامل، ت ح: أحمد أمين والسيد أحمد الصقر، د.ط ،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1951م، مقدمة أحمد أمين، ص(د).

[3]–المرجع نفسه، ن ص.

يعرف لها نبوغ في السياسة والأَدب أو غيرهما"[1].

أماً **نور الدين بن بلقاسم** فيذهب إلى أنَّ علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي قد ولد بين سنتي 312 و320 هجرية ببغداد أو بإحدى قرى العراق، والفترة الممتدة من تاريخ ميلاده إلى سنة 350هـ فترة غامضة من حياته ولا نعرف عنها شيئا.

كما يرجح **محمد عبد الغني الشيخ** أنه:" ولد حوالي سنة 310 هـ في بغداد (...) مستفيدا في هذا الترجيح من كلامالتوحيدي في كتابه المقابسات حيث يذكر أنه قد كتب رسالة سنة 400 هـ إلى القاضي أبي سهل عليٍّ بن محمد يعتذر فيها عما أقدم عليه من إحراق كتبه "[2] .

إِنَّ المتأمل لهذه الآراء يلاحظ أن الباحثين والمؤرخين خاصة قد استعصى عليهم تحديد مولد أبي حيان التوحيدي تحديداً قطعيا وربما قد يعود هذا إلى صعوبة العثور على تفاصيل حياته أو لعل هذا يرجع إلى تقاعس أو إهمال التعريف به.

2-أصله:

من الصعب بما كان يقطع برأي في الأصل الذي انحدر منه أبو حيان التوحيدي، فيضرب كل طرف من الباحثين برأي خاص، فيزعم البعض أنه " فارسي من أصل شيرازي أو نيسابوري أو واسطي، بينما يزعم آخرون أنه عربي نشأ في بغداد، ثم وفد بعد ذلك على شيراز، على الرغم من أن ياقوت الحموي يعترف في ترجمته لأبي حيان جهل أصله ونشأته (...) إِلاَّ أنه يميل إلى الظن بأَنَّ أبا حيان كان فارسي الأصل قدم بغداد وأقام بها مدة، ثم مضى بعد ذلك إلى مدينة الري"[3].

---

[1]- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح : إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1994م، ص113.

[2]- واتيكي كميلة :الإمتاع و المؤانسة لأبي حيان التوحيدي بين سلطة الكتاب و قصدية الكتابة (مقاربة تداولية)،ص 18.

[3]- أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة ،ج1، د. ط، شركة أنباء شريف الأنصاري للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان، 2006، ص6.

في حين عبر الباحث **سامي يُوسف أبو زيد** في كتابه الموسوم بعنوان " الأَدب العبَّاسي – النَثْر" أن أبا حيان مجهول المولد والنشأة، فيقال إنه فارسي الأصل " من شيراز ويقال: إنه عربي الأصل نشأ في بغداد.

ويرى **كارل بروكلمان** أنَّ أبا حيان التوحيدي صوفي الأصل من "شيراز أونيسابور قيل من واسط، تتلمذ في بغداد على السيرافي ثم على أبي سليمان بن طاهر المنطقي السجستاني، وبعد أنْ ظل في بغداد زمنا يسلك في مسلك الجاحظ مضى إلى الري ولمَّا لم يجد فيها ما كان يأمله من خطوة لدى أبي الفضل بن العميد والصاحب بن عباد انتقم لنفسه منهما في كتاب مثالب الوزيرين".

في جانب آخر وقف الدكتور **إبراهيم الكيلاني** أحد المُهتمينَ بتراث التوحيدي على أصل هذا الأدِيب معبرا أنَّه لم يعرف شيئا عنه، فكانت ولادته ونشأته مجهولين.

على خلاف ما عبر عنه باحث آخر وهو **عبد الرحمن بدوي** محقق كتاب "الإشارات الإلاهية" أن التوحيدي عد من الموالي الذين اختلطت دماؤهم، وغلب عليهم العرق الفارسي.

إنَّ هذه الآراء المقدمة من طرف باحثين على نزر يسر عن أصل هذا الأديب بدت جد متضاربة لم يحكم عليها برأي ثابت، فهو وإنْ عده واحد من أصل نيسابوري، عده الآخر من أصل فارسي، ولعل هذا يقودنا إلى القول أن هذه الشخصية تخضع لكثير من الاضطراب خاصة عند التعمق في البحث فيها.

3-خصائص أسلوبه:

أَبو حيان التوحيدي (310-414هـ) (922م-1022م) علم من أعلام العقل العربي في القرن الرابع وأديبٌ موسوعي الثقافة عميق التفكير، متعدد الجوانب.

يصفه ياقوت الحموي في معجم الأدباء بأنَّه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين وإمام البلغاء وأنه لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة، وأنه كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية.

أمَّا الدكتور **الحوفي** في كتابه عن التوحيدي فيقول بأنَّه الثمرة الكبيرة التي أنضجتها علوم وأدبه.

" إنَّ أبا حيان التوحيدي (...) أديب وشاعري الأسلوب رقراق العبارة جزل الكلمات، وفيلسوف دقيق الفكر، فطن الفؤاد ذكي الحس" [1].

ماَ التوحيدي سوى " امتداد لمدرسة الجاحظ التي تعرف بمدرسة الطبع، فقد سار على نهج أستاذه الجاحظ وحاكى أسلوبه الفلسفي الأدبي، حتَّى لقبه العلماء بالجاحظ الثاني، فهو يترك السجع المتكلف مع هيمنة الشعر آنذاك –ويُؤثر–مثلهاالازدواجولكنه اختط لنفسه مذهباً خاصاً به يقوم على المزج بين الأدبِ والحكمةِ من جهة والتصوفَ والفلسفةَ من جهة أخرى ."[2]

يمكن ملاحظة أنَّ أبا حيان التوحيدي شخصية فلسفية طلعة تستخلص الأسئلة من كل ما يقع أمامها سواء كانت المسائل خلقية أو اجتماعية أو لغوية أو نفسية، " وقد دَفع حب التنويع التوحيدي إلى دراسة مختلف العلوم والفنون مثل الفقه والحديث والفلسفة والمنطق والكلام والتوحيد والتصوف ومحاولة الأخذ من كل علم بطرف"[3].

ويُقدمُ الدُكتور **زكريا إبراهيم** في مقدمة كتابه الذي نشر في سلسلة "أعلام العرب" بأنَّ التوحيدي هو الناطق بلسان الثقافة العربية في القرن الرابع الهجري وأنَّه قام بدور حضاري في تلك الحقبة من تاريخ العرب، بوصفه مفكرا موسوعياً حاول أنْ يمزج الفلسفة بالآداب وذكر أن جمع التوحيدي بين التراث اليوناني من جهة، والثقافة العربية من جهة أخرى، هو الذي أهله للقيام بهذا الدور الحضاري.

---

[1]– زينب عبد الأمير القيسي: " **الاغتراب في أدب أبي حيان التوحيدي**"، مجلة كلية الإمام الأعظم، الجامعة العراقية كلية التربية للبنات، ص405.

[2]– سامي يوسف أبو زيد:" الأدب العباسي – النثر"، ط01، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان،الأردن، 2011م، ص119.

3– أبو حيان التوحيدي ومسكويه: الهوامل والشوامل، مقدمة أحمد أمين، ص09.

إنَّ الأدِيب وعلى الرغم من أنه عاش في زمن يعتبر بالأحَرى هو زمن التناقضات "محاولاً الوصول إلى التوازن النفسي في واقع مؤلم فرض عليه الفقر والبؤس منذ نعومة أظفاره، ولم يزده هذا الشقاء غير إصرار على تحقيق التغيير، من خلال النهلِ ومن الثقافات والعلوم التي تمكن منها "[1]، وعبر أسلوب شيق يجعل الكلمات تتخلقُ تخلقاً فريداً بيد أنَّ أمانيه في التحدي لم تكن بقوة ذلك العصر.

ويَظْهَر من شخصية التوحيدي أنَّها شخصية اجتمعت فيها شخصية " الأديب الذي تطغى عليه النزعة الوجدانية، وشخصية العالم الباحث الذي انطوت مؤلفاته على مختلف معارف عصره، يسعفه ميل إلى الجدل وإجلال العقل، وفضلا عن ذلك فقد عرف بنزعته الصوفية"[2].

وفوق ذلك كان " الرجل كثير المحفوظ حاضر الجواب فصيح اللسان قد نتف من كل أدبِ حفيف أشياء، وأخذ من كل فن أطرافًا، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة (...) وهو حسن القيام بالعروض والقوافي، ويقول الشعر، وليس بذلك، وفي بديهته غزارة "[3].

والعجب أنَّه ومع هذه الخصائص والميزات كلها أنَّه يعود له الفضل في " الكشفِ عن أسماء المفكرين والفلاسفة الذين وصفوا رسائل إخوان الصفا "[4].

ومِمَا أضاف أحد الباحثين أن التوحيدي قد جمع في رسائله وكتبه أفانين من المعرفة وزواج بينهما لأنَّه "استقاها من الكتب والرسائل التي قرأها ونسخها بيده ونجده على العكس من الجاحظ الذي كان يكتري دكاكين الوراقين، وبلا شك فإنَّ حرفة الوراقة والنسخ التي

---

[1]– زينب عبد الأمير القيسي: **الاغتراب في أدب أبي حيان التوحيدي**، ص405.

[2]– سامي يوسف أبو زيد: "الأدب العباسي– النثر"، ص111.

[3]– محي الدين اللاذقاني: آباء الحداثة العربية مدخل إلى عوالم الجاحظ والحلاج والتوحيدي، ط2، مؤسسة الانتشار، بيروت، لبنان، ص 106.

[4]– المرجع نفسه، ص 116.

امتهنها زمنا، قَدْ يسرت عليه الإطلاع على النادر من الكتب والرسائل في شتى المعارف والعلوم"[1].

4-بيئته الثقافية:

لِكُل عصر من العصور سِمَاته وسياسته التي صار عليها، وله شخصياته التي عاشت فيه فرسمو لنا صورة جلية عن ذاك العصر من خلال كتبهم وآثارهم الأدبية التي تركوها، فمما لاشك فيه أنَّ العصر (أو البيئة) له أثر كبير على العلماء الذين يعيشون فيه، وللحكام دور كبير في هذا الأمر- أمر الازدهار العلمي- فكلما كانوا ممن يقدسون العلم والعلماء ويجزلون العطاء لهم وجدنا مبدعين وأدباء في شتى المجالات والعصر العباسي شهد حكاماً يحبون العلم والعلماء ويكفيه شرفًا أنَّه عرف بعصر الموسوعات الضخمة، فحتى يتسنا لنا فهم شخصية أبي حيان التوحيدي أكثر ونتمكن من الوقوف على المؤثرات الخارجية التي تأثر بها علينا عرض سمات العصر الذي عاش فيه، " فالعَصَر والمُؤلف كالروح والجسد لا طاقة لنا أَنْ نفصل بعضها عن بعض، فالأديب بشر يتأثر بكل ما يحدث حوله من أحوال الاجتماعِية والاقتصَادِية "[2].

ولم يكن الخلفاء العبَّاسيون وحدهم الذين عملوا على تنشيط العلم وإعطاء الرواتب الجزيلة للقضاة وأيضًا لأصحاب العلم من كل صنف، فقد كان يشاركهم أيضا حكام الولايات، " وفي مقدمتهم أسرة الصفار بين حكام سجستان (...) وقد بعثوا في إمارتهم بتشجيعهم للعلماء نهضة علمية عظيمة "[3].

---

[1]- معتمر محمد البازي: **محمد رجب السامرائي يغوص في حياة وأدب أبو حيان التوحيدي"إنسانا وأديبا"**، مجلة كتابات، دمشق، 2002م.

[2]- أحمد محمد سليمان: ياقوت الحموي وكتابه إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء (دراسة تحليلية ونقدية)، ط1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دمشق، 2009م، ص29.

[3]- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي " العصر العباسي الثاني "، ط12، دار المعارف، القاهرة، 1966م، ص119.

إضافة إلى ذلك فإنَّ ما عمل على إشعال الجذوة العلمية وإمدادها بقود جذل لاَ ينفذ مناظرات العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء في الكلام والفقه والنحو والأدب وغيره.

ويكفي مثلا الجاحظ " وقد خلق من الكتب العظام وعشرات الرسائل ما يؤلف مكتبة كبيرة، ومما لا ريب فيه أن مكتبته كانت تحتوي المصنفات التي جمع منها المادة اللغوية والأدبية والكلامية لكتبه"[1]، إذ كل من يتعقب الحركة العلمية في العصر العباسي تظهر لديه كأنها سباقا نشب بين العلماء والعلم، فهم يجدون في طلب وتحصيله وهم يصارعون صراعا متصلا، وهذا الشغف العلمي الشديد هو الذي دفع العلماء أمثال أبو حيان التوحيدي أن يكونوا بهذا القدر الكافي من العلم.

وعلى قدر ما كانت في هذا العصر العديد من العلوم كالطب والكيمياء والصيدلة كان للجانب الأدبي (اللغة، النحو، الفلسفة...) حظ وافر في الولوج فيه، لهذا يمكننا القول إنَّ عصر أبو حيان وإنْ كان فيه نوعا من الفوضى والعبث بسلطان الخلفاء العبَّاسين وعلى الرغم من ظهور العديد من الحركات الانفصالية والدويلات الصغيرة، إضافة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السيئة (عكفوا على الترف والبذخ واللهو) هذا كان بالنسبة للطبقة الخاصة، في حين حرم أفراد الشعب حتى المفكرون من القوت الضروري، في مقابل هذه الحياة المضطربة شهد العصر العباسي رقيا في الحياة العقلية وهي مفارقة عجيبة عبر عنها **أحمد أمين** في قوله هذا فكأن العلوم والفنون لا ترقى إلا في عصور الفوضى والاضطراب.

ويعود ذلك إلى أنَّ أمراء هذه الولايات التي شقت عصا الطاعة عن الدولة العباسية أخذوا يتنافسون فيما بينهم على تشجيع العلماء والأدباء مقلدين بذلك تقاليد بغداد إبان مجدها، وكان العصر العباسي خصوصا في طوره الثاني عصر ندوات تعقد في قصور

[1]– شوقي ضيف :تاريخ الأدب العربي ، ص126.

الوزراء من أشهرها ندوة في عهد الدولة بن بويه في شيراز، وندوة ابن العميد في الري وندوة الصاحب وغيرها.

وقد استمرت الحياة الأدبية في النمو والازدهار على الرغم من انقسام الخلافة وضعفها، ولئن امتاز "العصر العباسي الأول بالجاحظ والعصر الثاني بالعديد من الكتّابِ (...) فإن العصر الثالث يتميز بظهور ابن العميد والصَّاحب ابن عباد" [1].

حقا لقد كان الجاحظ في سحر بلاغته، وسمو أسلوبه وشخصيته البارزة في كل فقرة من فقراته، إنَّه نسيج وحده وفريد عصره كما يقولون وقد تأثر بأسلوب الجاحظ الأدباء الذين آلت إليهم الزعامة الأدبية بعده" [2]، ولعل لأبي حيان نصيب من ذاك التأثر كيف لا وهو في معظم كتاباته يبدو أمام من يقرأ أنه الجاحظ سواء ثقافة أو سعة اطلاع.

يمكننا الخروج بنتيجة مفادها أن العصر الذي يعيش فيه الأديب يكون بالنسبة له كشعاع يقذف على حين غفلة في صدره، حتى لو كان ذاك العصر مليءً بعدة أمور سلبية، فعلا هي بيئة الكاتب " أبو حيان التوحيدي " كشمعة أنارت له دربه وسددت خطاه وأعطته حسن البديهة وفصاحة التعبير.

5- موسوعيته:

أثار التوحيدي جدلا واسعا في أوساط القدماء والمحدثين، لكن هذا الجدل لم يمنعهم على الإجماع بموسوعية هذا الأديب، نستدل على هذا من خلال "كتبه التي دبجها، ومن خلال الموضوعات التي تطرق إليها فضلا عن الشيوخ الذين درس عليهم، وكل واحد منهم إما أن يكون متخصص بفرع من فروع المعرفة أو بفروع عدة، فقد درس في حياته الفلسفة

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط01، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص42.

[2]- المرجع نفسه، ص ن.

والمنطق على أكبر عالمين في القرن الرابع، وهما يحي بن عدى المتوفى سنة 364هـ، وأبو سليمان المنطقي المتوفى سنة 391 هـ ".[1]

وفي جانب آخر نجد هذا الأديب قد درس " الفقه الشافعي والتفسير على القاضي **أبي حامد المَرورُوذَوِي** المتوفي سنة 390هـ، وكان فقيها أديباً شاعراً ، بالإضافة إلى دراسته اللغة والأدب ليرتفع في آخر حياته إلى مراتب التصوف والزهد.

أبو حيان نمط فريد من المبدعين حيث أنَّه لا "يمكن لأحد أن يلخصه في أنَّه موسوعي ضرب بسهم في كل علم من علوم عصره، فالموسوعية هي القاسم المشترك الذي يجمعه بغيره ولا يميزه عن سواه"[2].

نستطيع القول في هذا العنصر تحت مسمى موسوعية التوحيدي أنَّ هذا التنوع الهائل في ثقافة الأديب وأخذ من كل علم نبراص يهتدى به يجعلنا نقول أنَّه عبر فعلا عن شخصية مندفعة مُحبةً للعلمِ ساعيةً وراءالعلوم المختلفة.

إننا كلما تذكرنا القرن الرابع الهجري تذكرنا أبا حيان تذكرنا أولئك العمالقة الكبار من رجال الفكر العربي الذين أعطوا العطايات الوافرة ،فكان لهم الفضل في نشر العلم وإذاعته، إذْ أنَّه –التوحيدي– من هؤلاء السابقين في تنشيط الذهنية العربية وكذا المذاهب الدينية، إذ منحت هذه الموسوعية أو الثقافة لهذا الأديب لم تأتي من عدم وإنما استندت لمبادئ وقواعد أعطته هذا الإنفراد.

6/مؤلفاته:

يعد "أبو حيان التوحيدي" في طليعة المؤلفين والكتاب الذين عرفوا بغزارة النتاج حتى لقد روى بعضهم أنَّ وزن المداد الذي صرفه في تصانيفه بلغ أربعة مئة رطل، وهذا متوقع من

[1]– محمود إبراهيم: أبو حيان التوحيدي، "**النقد الأدبي**"،مجلة فصول ، العدد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م، ص31.

[2]– جابر عصفور : **أبو حيان التوحيدي** "النقد الأدبي"، مجلة فصول ،ص5.

أديب دؤُوب آثر ملازمة القلم والقرطاس في حياته، ومن بين آثاره الأدبية التي خلقها ما يأتي:

أ-البصائر والذخائر:

تتضمن عددا من المختارات الأدبية، استرفدها التوحيدي من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وحكم العرب وأمثالها وأشعارها "فبلغت جملة مختاراته سبعة آلاف وتسعة وسبعين مختارا، استنفذ التوحيدي في جمعها ما يربو على خمسة وعشرين عاما، إذ صرح أنه قد شرع في كتابتها منذ 35هـ"[1].

ب- أخلاق الوزيرين أو "مثالب الوزيرين":

يقدم التوحيدي في هذا الكتاب مهاجمة صريحة "للوزيرين" أبي الفتح ابن العميد والصاحب بن عباد، " ألفها التوحيدي بعد سنة 371هـ جمع فيها التوحيدي مشاهداته ومسموعاته عن الوزيرين ابن العميد (ت360 هـ)، والصاحب بن عباد (ت 385هـ) اللذين اتصل بهما فحرماه ومنعاه، ولم يظفر منهما ما كان يؤمله من خطوة، وصلة وإكبار"[2] ، كتبه بعد أن ارتحل إلى بلاط الصاحب بن عباد، ويعد الكتاب من أعنف نصوص الهجاء التي كتبت بالعربية.

ج- الإمتاع والمؤانسة:

ما كتاب الإمتاع والمؤانسة سوى " ثمرة سبع وثلاثين ليلة نادم فيها التوحيدي الوزير ابن سعدان واهم ما يميز هذه المدونة مأخوذة من مسائل فكرية واجتماعية وسياسية، فالموضوعات فيها متنوعة تنوعا ظريفا، لا تخضع لترتيب أو تبويب، إنما تخضع لخطوات

[1]- أميمة صبحي: حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ط01، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015م، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص52،53.

العقل وطيران الخيال، وشجون الحديث حتَّى لنجد في الكتاب مسائل من علم وفن (...) أمور كثيرة حكمت واقع الحياة بكل تداعياتها في القرن الرابع الهجري"[1]

وينفرد هذا الكتاب أيضا بإيراد وثيقين مهمتين إحداهما متعلقة بمؤلف إخوان الصفا، والثانية في المحاورة التي دارت في بغداد عام 326هـ

كتاب الإمتاع والمؤانسة يعد رؤية شمولية عن حضارة القرن الرابع الهجري وثقافته تلك التي عبر عليها على شكل مناظرات وحوارات مع الوزير.

د-الإشارات الإلاهية:

أَلَف كتاب "الإشارات الإلاهية والأنفاس الروحانية" في الدور الأخير من حياته حيث تجاوز السبعين من عمره، ألفه حيث هدأت نفسه الجامحة وجنح إلى حياة روحية، صرف هدفها للاتجاه نحو الله عزوجل كانت أيضا ابتهالات ومناجاة وتضرعا لله مما يجعلها برسائلها الأربع والخمسين حجة بالِغة وبُرهانًا ساطعًا.

هـ- رسائل أبي حيان التوحيدي:

وهي تجمع في تسع رسائل بتحقيق إبراهيم الكيلاني بدمشق عام 1985م، وهي إحدى إبداعاته التي كشفت عن جميع أشعاره ومما ذكر أبو حيان في كتابه "الهوامل والشوامل" أن هذه الرسائل منشورة وهي كالتالي:

- رسالة السَّقيفة.
- رسالة في علم الكتابة للتوحيدي .
- رسالة الحياة.
- رسالة في العلوم.
- رسالة إلى الفتح ابن العميد.
- رسالة إلى أبي الوفاء المهندس البوزجاني.

[1]- أميمة صبحي : حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي ، ص54.

– رسالة أخرى إلى الوزير أبي عبد الله العارض

و– الصداقة والصديق:

وهو مجموعة مختارات انتقاها التوحيدي مما قيل في الصداقة شعراً ونثرًا منذ الجاهلية حتى عصره، إذ "حن أبو حيان إلى إلى الصداقة العميقة وحنينه وتوقه الإنساني إليها تجسد في هذا الكتاب الذي بدأ في وضعه بعد خيبته في إقامة علاقة قوية بابن العميد والعباد إضافة إلى صدمته في الآخرين"[1].

أمَّا عن زمن تحرير هذه الرسالة فمما ذكره "**ياقوت الحموي**" في كتابه "معجم الأُدباء" أنه كان ذلك في رجب سنةأربعمائة ،كما يذكر الباحث **مصطفى التواتي** من خلال دراسته لأبي حيان التوحيدي أنه شرع في تأليفها سنة 371 هـ ثم أهمله زمنًا ولم يعد إليه في فترة لاحقة، فأخرجه في شكله النهائي في الفترة التي عقبت انقطاعه عن ابن العارض.

هذا بالإضافة إلى الكتب التالية الذكر:

– كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء على الحج الشرعي.

– كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة.

– كتاب الرسالة البغدادية.

– كتاب الرسالة في أخبار الصوفية.

– كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان.

– كتاب المحاضرات والمناظرات.

– كتاب الزلفة أو الزلفى.

– كتاب تقريظ الجاحظ.

– كتاب الهوامل والشوامل.

[1]– جمال الغيطاني: خلاصة التوحيدي "مختارات من نثر أبو حيان التوحيدي" ،د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م، ص29.

لكن للأسف أنَّ أبو حيان التوحيدي قد قام بحرق "كتبه كلها في نهاية حياته، ولم يصلنا منها إلا عدد قليل"[1]، هذه الظاهرة التي ارتكز الباحثون في تفسير سببها على جملة منها ما هو نفسي، اجتماعي وغيره، ما يمكننا أن نقوله أنَّ هذا الأديب سواء بكتبه التي نشرت أو التي لم تنشر أعطى للثقافة العربية زاد علمي كبير وتراث لا يمكن لأحد مهما كان تجاهله.

1- جمال الغيطاني: خلاصة التوحيدي " مختارات من نثر التوحيدي " ، ص5.

المبحث الثاني:

1- نبذة عن " كتاب الإمتاع والمؤانسة ":

كتاب " الإمتاع والمؤانسة "الذي اضطلع بتحقيقه الأستاذان" **أحمد أمين**" و"**أحمدالزين**"

ظهر هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء صدرت في السنوات 1939 و1942، و1944 على التوالي "وربما كان هذا المؤلف الضخم من أقوم كتب التوحيدي، وأنفعها، وأمتعها خصوصا وأن الأستاذان المحققين قد عنيا بتصحيح الكتاب ومراجعته، فجاء التصحيف والتحريف فيه على أضيقِ نطاق"[1].

إنَّ لتأليف كتاب " الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان قصة ممتعة، ذلك أنا الوفاء المهندس كان صديقاً لأبي حيان وكذلك للوزير أبي عبد الله العارض، فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير، ووصله به، ومدحه عنده، حتى جعل الوزير أبا حيان من سماره، فسامره سبعا وثلاثين ليلة كان يحادثه فيها، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان، " ثم طلب أبو الوفاء من أبي حيان أنْ يقص عليه كل ما دار بين وبين الوزير من حديث (...) فأجاب أبو حيان طلب أبي الوفاء، ونزل على حكمه، وفضل أن يدون ذلك في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل، وحلو ومر فوافق أبو الوفاء على ذلك (...) فكان من ذلك كتاب الإمتاع والمؤانسة"[2].

يتألفُ كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من ثلاث أجزاء ،من أضخم كتب التوحيدي وأكثرهاأهمية ونفعا، ويزخر بشتى فنون المعرفة من أدب ولغة وفلسفة وشريعة وكلام وطبيعة وإلهيات، وينفردُ الكتاب بإيراد وثيقتين مهمتين الأولى منهما هي النص المتعلق بمؤلفي إخوان الصفا، والثانية هي المحاورة التي دارت في بغداد عام 326هـ بين العالم النحوي أبي

[1]- أبي حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص24.

[2]- المصدر نفسه، ص24.

سعيد السيرافي وعالم المنطق متى بن يونس حول المفاضلة بين النحو العربي، والمنطق اليوناني.

ونحن إذا أرجعنا الحديث فإن "الكتاب حديث متصل عن كل التيارات الفكرية والأدبية (...)، مما كان موضوع سمر ومنادمة وحوار في مجلس هذا الوزير وكما ألف بعض الأدباء في هذا العصر باب السمر أصول كتاب ألف ليلة وليلة، فقد ألف التوحيدي كذلك هذا الكتاب الممتع الرائع الذي يقص علينا فيه كل ما يعنيه من مشكلات الفكر والثقافة والأدب ."[1]

ومما نلاحظ عليه أنَّ كتاب أبو حيان التوحيدي يشبه لحد كبير كتاب ألف ليلة وليلة حيث أنَّ كل منهما يتوزع السمر والحديث فيه ليال متعاقبة ليلة بعد أخرى، ففي الكتاب نراه موزعا إلى أربعين ليلة، وإن كانت الليلة العاشرة والحادية عشرة جعلها في ليلة واحدة وسقطت الليلة الثانية عشرة من الكتاب، وينتهي الجزء الثالث من الكتاب بالليلة الأربعين، وكان الحديث فيها عن أبي تمام والبحتري.

أمَّا إذا أعطينا للكتاب أحقيته من الفحص والدراسة نَجد موضوعاته جامعة بين الدين والدنيا وبين الحكمة والغفلة وبين الجد والهزل وبين العدل والظلم...إلخ، إلى أنَّ موضوعات الكتاب لا تخضع لتبويب، ونتحدث عن كل علم وفن من فلسفة ومجون وبلاغة وتفسير و غيره.

هذا كان على وجه عام، وفي جانب نجده على الشكل التالي:

2- هيئة الكتاب:

أرسل أبو حيان الكتاب إلى أبي الوفاء المهندس على ثلاثة مراحل واضحة تجسدت في أجزائه الثلاثة:

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي: الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع هجري، رابطة الأدب الحديث، ص195.

الجزء الأول: ابتدأ هذا الجزء بالبسملة وبمقدمة لأبي حيان واختتم بخاتمة أبلغ فيها أبا الوفاء المهندس السلام فيقول التوحيدي مخاطبا إياه " قد رأيت آيها الشيخ، حاطك الله، عند بلوغي هذا الفصل أن أختم الجزء الأول بما انتهى إليه، وأشفعه بالجزء الثاني على سياج ما سلف نظمه ونثره"[1]، ثم يختتم قائلاً بالسلام والحمد لله والتصلية بعد مقطع من الكلام حيث احتوى هذا الجزء على ست عشرة ليلة.

الجزء الثاني: بدأ هذا الجزء بمقدمة خاطب فيها أبا الوفاء المهندس في صفحتين وختمه بخاتمة يقول فيها : "هذا الجزء أيها الشيخ (...) هو الجزء الثاني والثالث يتلوه"[2].

أين يبتدئ هذا الجزء من الليلة السابعة عشرة إلى الليلة الواحدة والثلاثين.

الجزء الثالث: يبدأ هذا الجزء بمقدمة، يخاطب فيها مراسله، برسالتين وجههما للوزير ابن العارض.

يبدأ هذا الجزء من الليلة الثانية والثلاثين إلى غاية الليلة الأربعين، ويحتوي بذلك على تسع ليال.

نلاحظ إذن من خلال هذا الطرح الذي إعتمد عليه التوحيدي في خط كتابه "الإمتاع والمؤانسة "على أنه لم يكن على دفعة واحدة مما يسبب للقارئ ملل ونفور وإنما كان ذلك على فترات، وهذه يمكن اعتبارها كمزية للمتلقي، حتى إنه عندما تقرأ الكتاب شعريا التسمية التي أطلقها التوحيدي على مؤلفه هذا سماه "الليالي"، وهذه هي الأخرى لها فعلها ودورها أيضا فبمجرد سماع هذه الكلمة حتى ولو لم تكن ممن يميلون إلى هذا الأديب تسعى جاهداً، وينتاب فكرك الفضول عما يا ترى تدور هذه الليالي، أهي ليالي شرب وطرب ومجون ، أم هي ليالي نحو و لغة، أم أنها جامعة بين هذه وتلك.

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص157

[2]– المصدر نفسه، ج02، ص 268.

3- دراسات عن التوحيدي:

كثيرة هي تلك المؤلفات عن أديب الفلاسفة "علي بن محمد بن العبَّاس" فقد درسه عديد من الباحثين فأعطوه مكانة مرموقة من خلال أبحاثهم ومن هؤلاء العلماء الذين حاولت جمعهم ما يلي:

- ياقوت الحموي في كتابه "معجم الأدباء" بتحقيق أحمد فريد الرفاعي.
- إبراهيم الكيلاني:" أبو حيان التوحيدي"، وكتابه الذي نشر في سلسلة نوابغ الفكر العربي بالقاهرة.
- إحسان عباس: " أبو حيان التوحيدي " صدر هذا الكتاب في بيروت.
- أحمد محمد الحوفي: " أبو حيان التوحيدي " مجموعة قادة الفكر في الشرق والغرب.
- زكريا إبراهيم: " أبو حيان التوحيدي" أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء.
- عمر رضا كحالة: "معجم المؤلفين" الذي نشر بدمشق.
- عبد الرزاق محي الدين: "أبو حيان التوحيدي" سيرته وآثاره.

إضافة إلى دراسة قام بها كل من:

حسن السندوبي بكتابه المطبوع في مصر سنة 1929 ، توالت بعدها كتابات للدكتور **زكي مبارك** في النثر الفني في القرن الرابع الهجري ، لنقول بعدها أنَّ هذا الجمع لبعض المؤلفين الذين اعتنوا بهذا الأديب لم يكن جمعا شاملاً كاملاً وإنما هو نزر يسير لا غير، كما أنَّ هذا الجمع لم يكن مبنيا على أساس أنَّه من كتاب مضبوط وإنما قدم على أنه مجموعة متفرقة ذكرتها بطريقة غير ممنهجة- إِن جاز التعبير- فمن حق أبي حيان على أي كاتب أن يدرس جملة ما وصل من كتبه فليس في إمتاعه مثلابأقل شأنًا من بصائره ولا إشارته، لهذا نقول لهؤلاء الذين عنوا بتراث هذا الرجل أنهم إن أصابوا فلم أجرهم في ذلك، وإن لم يصيبوا فلهم الإجادة.

4- وفاتـه:

يزداد أمر التوحيدي غرابة كلما ازددنا بحثا عنه وتنقيباً وراءه، فكما اختلف المؤرخون في حياته اختلفوا كذلك في زمن وفاته، ويرجح **إبراهيم الكيلاني** أن "التوحيدي قضى الشطر الأخير من حياته في شيراز حيث مات ودفن فيها وكانت وفاته سنة 414هـ"[1].

كما يذكر الباحث المتشرق **آدم متز** أنَّ أبا حيان توفي سنة 400 هـ والأقرب إلى التصديق أنَّ وفاته كانت سنة 414هـ وهذا الرأي يعتمد على أدلة أقوى ومراجع أوثق.

مات أبو حيان، وقد فاقت شهرته الآفاق، مات فاختلف كثير من الباحثين حول ذاك الزمن الذي سرق أديبا فذ وفيلسوفا متمكنا كأبي حيان التوحيدي.

أمَّا عن عمر الأديب الذي قضاه "فيرشدنا إليها تصحيف ورد في كتاب معجم الأدباء، وكان هذا التصحيف السبب في الارتباك الذي رافق تقديرا من أبي حيان ذلك أنَّ الثابت لدينا أن التوحيدي توفي في سنة 414 هـ".[2]

وهكذا مات أبو حيان الذي لطالما جد وكافح ليصل إلى مرتبة لم يكن لأحد من الأدباء في تلك الفترة ليضاهيها، فكان مثالا حيا للشخصية المثقفة الجامعة بين علم وعمل.

خلاصة الفصل:

[1]- سامي يوسف أبو زيد: "الأدب العباسي-النثر" ،ص115.

[2] - **أبو** حيان علي بن محمد التوحيدي: الرسالة البغدادية ت ح : عبود الشالجي ، ط1، منشورات الجمل ، ألمانيا ، 1998م ، ص 16.

نخلص للقول أنَّ دراسة شخصية الأديب أبي حيان التوحيدي، بكل عناصرها البيوغرافية (اسمه، أصله، وفاته...)، إضافة إلى مظاهر تكوين هذه الشخصية (موسوعيته، بيئته الثقافية)، تجعلنا نقول عنها:

– إنَّ التوحيدي في أمة العرب مثله كمثل الجاحظ ما من فكرة إلاَّ وإليه تعود، وما من علم إلا على بابه دق، وعنده منه نصيب إنه فعلاً ترجمة أدبية أو مثالية للأديب الحقيقي فساهم بشكل فعال في مراعاة أحوال القرن الرابع الهجري متأثرا بالمظاهر الاجتماعية والثقافية.

– لنقول بعدها أنه من أراد أن يتعرف على الكثير من العلوم (نحو، منطق، لغة، فلسفة...) ما عليه سوى الإطلاع على هذا المفكر ليخلص بنتيجة جيدة وخلاصة فكر متمكن.

– إطلاع الأديب على العلوم جعل الباحثين يختمون القول أن شخصيته طلعة كشخصية التوحيدي تستحق الدراسة والتعمق فيها فإنها، وإن تعرضت لجانب من الغموض على الأقل تجعل دارسها قد عرف وتعلم الكثير من العلوم ليحصل بعد ذلك الكثير منها.

الفصل الثانـي

"إن الخطاب شيء بين الأشياء (...) بل هو المسرح الذي يتم فيه استثمار الرغبة "

-ميشيل فوكو-

المبحث الأول:

1-مفهوم الخطاب:

أ-لغة:

عندما نقف على هذا المفهوم من حيث معناه المعجمي نجده مشتقا من مادة خطب التي تعني في دلالتها اللغوية "الخطب" وهو الأمر العظيم الذي تقع فيه المخاطبة ومنه قولهم: حل الخطب، أي عظم الأمر والشأن وجمعه خطوب (...) وخطب الخطيب خطبة بضم الخاء، والخطبة، الكلام المنثور المسجع ونحوه"[1].

أمَّا ابن منظور (711هـ) يعرفه على أنَّه:" الخِطاب والمُخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خَاطبه بالكلام مخاطبةً وخطاباً وهما يتخاطبان"[2].

وقد ورد هذا المصطلح في معجم المصطلحات العربية "الخِطاب الرسالة lettre، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، حيث إنتقل بعدها مفهوم تلك الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي"[3].

وفي أساس البلاغة "هو المواجهة بالكلام، وخطب الخَطيبُ خُطبة حسنة، وخطب الخَاطِب خطبة جميلة وكثر خُطابها، وهذا خَطبها، وهذه خطبة وخطبته (...) واختطب القوم فلاناً: دعوه إلى أن يخطب إليهم "[4].

---

[1]- الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص64، مادة (خ ط ب).

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ضبط وعلق حواشيه، خالد رشيد القاضي، ج04، ط01، دار صبح وادي سوفت، بيروت، لبنان، 2006م، ص 129،130، مادة (خ ط ب).

[3]- مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، ط01، كامل المهندس، مكتبة لبنان، 1979م، ص90.

[4]- الزمخشري :أساس البلاغة ،تح: محمد باسل عيون السود،ج1.ط1،دار الكتب العلمية بيروت،لبنان،1998م، ص255.

كما ورد هذا المصطلح في المعاجم الأجنبية فإن " الخطاب مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية discoure (...) و هي تعني حديث، محاضرة، خطاب، خاطب..."[1].

إن ما يمكن ملاحظته من خلال هذه التعريفات المقدمة ارتباط مفهوم أو مصطلح الخطاب بالحديث الذي يدل على ذلك الكلام الموجه من مرسل إلى مرسل إليه بغية أو غاية في الفهم والإفهام أو فيما يعرف بالقصدية بين المبدع والمتلقي هذا إذا عرجنا على هذا الموضوع من جانبه الأدبي الخاص.

ب-اصطلاحا:

يعرف الخطاب من حيث مفهومه الاصطلاحي على أنه: "الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاما متتابعا، تسهم به في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص وعلى نحو يمكن معه أن تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكل خطابا أوسع "[2].

وهذا الرأي نجده يتقاطع لحد ما مع ما قدمه هاريس (1952م) حول مفهوم الخطاب أين اعتبره مجرد " متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر"[3]. يتحدد من خلال ما عبر عن كلا التعريفين أن الخطاب يمكن اعتباره تمازج مجموعة من الجمل تكون في بداية هذا الامتزاج منغلقة في ذاتها بغية إعطاءنا خطابا أشمل وبنية متماسكة في حد ذاتها لا يمكن فهم ما تعنيه تلك الخطابات الموجودة داخلها إلا عند أخذها بعين الدراسة والفحص.

---

[1]- عيسى متقى زاده وآخرون: **تحليل الخطاب الأدبي في مقامات الهمذاني** "، مجلة إضاءات نقدية، س01، ع03، أيلول 2011م، ص 102، 103.

[2]- أديث كيرزويل: عصر البنيوية من ليفي ستراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، د. ط، منشورات آفاق عربية، بغداد، 1985، ص269.

[3]- سعيد يقطين :بنية الخطاب الروائي (الزمن-السرد -التبئير)، د.ط، المركزالثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، 1997م ،ص17.

أما الباحث **حاتم عبيد** في كتابه " في تحليل الخطاب" فيتطرق لمفهوم الخطاب ويعرفه على نحو أنه مجموعة من العناصر يصادفها القارئ مبثوثة متى جعل بعضها سببا من بعض استطاع أن يرسم صورة للقارئ معينة، فالأسلوب الذي تكون علامات الوقف فيه نقاط تعجب يمكننا أن نستخلص شخصية للقائل تتسم بالاندفاع أو الغضب، أما الذي يبطن خطابه بإشارات عالمة وشواهد فله صورة المتبحر يظهر عليها.

إن الخطاب ما هو إلا مقول الكاتب أو أقاويله بتعبير الفلاسفة العرب القدماء إنه عبارة عن:

" وجهة نظر يعبر عنها تعبيرا استدلاليا، وإلا فهو أحاسيس ومشاعر، فن أو شعر(...) هنا كما هو الشأن في بناء (المنزل مثلا) لا بد من استعمال مواد مفاهيم ولابد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى يصبح بناء يشد بعضه بعضا".[1]

يمكن القول أن الخطاب من هذا المنظور أصبح بالنسبة للكاتب سلاحا يستخدمه كيفما شاء سواء صراحة أو ضمنا، بطريقة مباشرة التي يعبر عنها باستعمال أو إبراز أشياء أو قد يتجه نحو السكوت عن أشياء أخرى ومن هذه النقطة بالذات ظهر فيما عرف في الدراسات الحديثة بتعدد القراءة "فالخطاب ما عساه أن يكون في مشروعيته، سوى قراءة مستترة، فالأشياء تهمس مسبقا بمعنى ليس على لغتنا سوى أن تقوم بإنهاضه، وهذه اللغة، منذ بدايتها الأولى، تتحدث إلينا عن كائن هي بمثابة العصب الرابط "[2].

كما أوجز **الآمدي** حقيقة الخطاب في باب الحكم الشرعي وأقسامه وما يتعلق به من المسائل في كتابه " الإحكام في أصول الأحكام"، ويورد الآمدي في تعريفه لمفهوم الخطاب مقتبسا ذلك من تعريف بعض الباحثين على أن الخطاب هو " الكلام الذي يفهم المستمع منه

[1]- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة، بيروت، 1982م، ص10.

[2]- ميشيل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد سبيلا، ط01، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان ، 1984 م، ص26.

شيئا، ويرده لجواز دخول الكلام الذي لا يقصد به إفهام المتكلم في معناه، والمختار عند القول إن الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[1].

إن ما يمكن ملاحظته من خلال ما قدمه الآمدي في تعريفه هذا احتوائه على عدة عناصر قام بإسنادها للخطاب وقد يرجع السبب في ذلك خوفا منه مما قد يلتبس به مع عدم وجود العناصر المذكورة[2]:

أ- وجود مُخَاطَب ومُخَاطِب.

ب-استعمال اللفظ المتواضع عليه في التخاطب.

ج-انطواء المخاطب على قصد الإفهام.

د-قابلية الكلام للإفهام.

هـ-تهيؤ المخاطب للفهم.

ومما ورد في "البحر المحيط في أصول الفقه" **للزركشي** أن المتقدمين عرفوا الخطاب على نحو أنه: "الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم، وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد إفهامه متهيئا أم لا-وقيل: والأولى أن يفسر بمدلول ما يقصد به الإفهام"[3].

من خلال هذا التعريف المقدم يمكننا اعتبار أنه قد وضع لقصد الإفهام من المتكلم لتحقيق الخطاب، وأنه غير أساسي في التهيؤ للفهم.

---

[1]- البشير التهالي: الخطاب الإشتباهي في التراث اللساني العربي، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان 2013م، ص122، 123.

[2]- المرجع نفسه، ص 123.

[3]- المرجع نفسه، ص131.

إلى جانب ما قدمه هؤلاء الباحثين لمفهوم الخطاب نجد تعاريف أخرى تنطلق من هذا التصور خصوصا ما جاء في القاموس اللساني لمجموعة من الباحثين يقولون فيه[1]:

– الخطاب وحدة تساوي أو تفوق الجملة، وهي تتكون من سلسلة تشكل رسالة بداية ونهاية.

– أوقول الباحثين بأنه "وحدة لسانية ذات بعد يفوق الجملة (فوق جملي).

– أو بتعريف **زيليغ هاريس** " مجموعة قواعد التتابع المتسلسل للجمل والمركب للملحوظ " يظهر من هذا التعريف أن الخطاب يتسلسل ويتتابع ويأخذ مفهومه بالنسبة إلى الوحدات اللسانية على النحو التالي:[2]

– بالنسبة إلى الجملة: يعتبر الخطاب وحدة فوق جملية.

– بالنسبة إلى الملفوظ: يشكل الخطاب وحدة تواصلية مجموعة بظروف إنتاج معينة، وتشير إلى جنس معين من أجناس الخطاب، بينما النظر إلى النص من جهة بنائه اللغوي يجعلنا نتكلم عن ملفوظ هو نتاج عملية التلفظ.

– بالنسبة إلى النص: يعتبر النص خطابا إذا نظرنا إليه مجموعا مع سياق إنتاجه.

– بالنسبة إلى التلفظ: يعد التلفظ حاملا نوعيا لسياق الخطاب، وعلى هذا فهو ضروري اعتبار الملفوظ خطابا.

أما الباحث جيرارجينيت في كتابه "خطاب الحكاية" فيقدم لنا الخطاب على أنه الوسيط اللساني في نقل مجموعة من الأحداث الواقعية والتخيلية التي أطلق عليها مصطلح الحكاية.

إن " الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل"[1].

---

[1]– محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م، ص14.

[2]– المرجع نفسه، ص 18.

إلى جانب آخر يعرض لنا الباحث **محمد الباردي** في كتابه "إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة " أن الخطاب هو كل تلفظ يفترض متحدثا ومستمعا، تكون بالطبع للطرف الأول بنية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال وهذا بحسب ما رآه إميل بنيفست– E–Benveniste.

لقد ظهر لنا عبر تتبع التعريفات التي أعطيت لمفهوم الخطاب أنه ما هو إلا ظاهرة تواصلية تجري فيها اللغة مجال الاستعمال في مقام تواصلي محدد، لهذا فإن هذا المصطلح "من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة (...) وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف"[2].

[1]–دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط01، الدار العربية ناشرون، منشورات الإختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2008، ص35.

[2]–المرجع نفسه، ص38.

والخلاصة فإن إدراك مفهوم الخطاب يأتي من استحضار مجموعة من المفاهيم من قبيل: القصد، والإفهام، والفهم، والكلام، والفائدة، وإسقاطها على عناصر البنية التخاطبية على النحو الذي نوضحه في الخطاطة الآتية:[1]

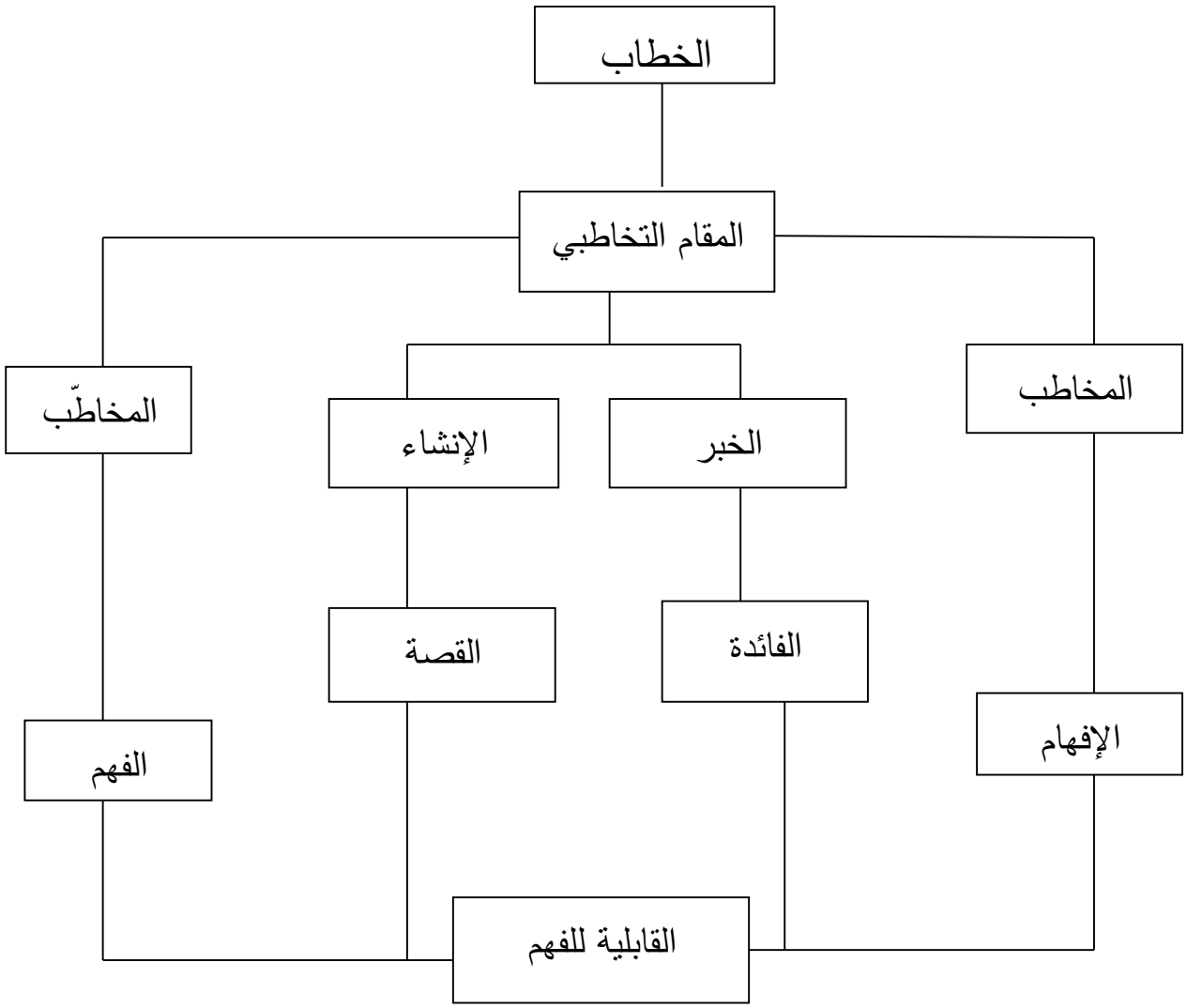

[1]- البشير التهالي: الخطاب الإشتباهي في التراث اللساني العربي، ص134.

فأينما سرنا فنحن " أمام خطاب تام وكامل وملزم تحليله للاعتبار فالماء خطاب، والأرض خطاب، والشجرة خطاب، والنحلة خطاب، والطير خطاب "[1] قال تعالى " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء" سورة الأنعام" الآية 28.

لكن عندما نقف أمام الخطاب الأدبي نلاحظ أنه خلق لغة من لغة ومعنى هذا أن الخطاب الأدبي يلد ويولد فهو مثل الكائن الحي الذي ينمو ويتطور ويحافظ على خصائصه الوراثية البيولوجية ويكشف أشياء أخرى بفعل التلاقح فيؤثر ويتأثر، فالخطاب الأدبي تشكيل جمالي، استوعب في حدثه اللساني الألفاظ والمعاني، والخطاب الأدبي هو خلق وإبداع ،وبناء في داخل النص يعمل على تفجير اللغة بكل ما تحمل من دلالة، وإذا أردنا بعث التراث العربي وإحياءه وابتكار طريقة جديدة في التعامل معه، فلا يكون في نسخة وإعادته كما هو بل بعثه في ثوب جديد.

بينما يتميز الخطاب الأدبي بكونه ثخنا غير شفاف يستوقفك هو نفسه قبل أن يمكنك من عبوره أو تجاوزه.

أما أعلام الفكر الأسلوبي يعرفونه :"الخطاب الأدبي بكونه خلق لغة من لغة أي إن صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة فيبعث فيها لغة وليدة هي لغة الأثر الفني (...) فالخطاب الأدبي تحويل لموجود"[2].

ولاشك أن هذه التعاريف المقدمة تجرنا للقول أن الخطاب الأدبي أنه لا شيء يخلق ولا شيء يفنى، وكل موجود متحول وقد ذهب **فاليري** إلى تعريف الخطاب الأدبي بأنه " الجوهر والعرض متحدان".

---

[1]- عمار ساسي: منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2011م،ص01.

[2]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط5،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ،لبنان ،2006م، ص92.

في حين عبر لنا " أنطوان مقدسي" أن الخطاب الأدبي جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها حتى تكاد تكون مغلقة، ومعنى كونها علائقية أنها مجموعة حدود لا قوام لكل منها بذاتها إذ أنها لا تحتاج إلى غيرها من العناصر.

إن ما يتوجب علينا أن نقوله في هذه الناحية أن معظم التعريفات التي وجهت للخطاب إنما تبقى تعريفات تقدم لأي خطاب كان سواء "سياسيا"، قرآنيا، اقتصاديا"، لكن نحن لابد علينا أن نعطي مفهوما أدق لمصطلح الخطاب من منظور أدبي أو ندرج الخطاب في ما مفهومه في الأدب؟

هل يتوافق كل ما قدم مع ماهر سيعرض في جانبه الأدبي فهذا "عبد السلام المسدي" يعرفه على أنه: "صوغ للغة عن وعي وإدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور الدلالات، وإنما هي غاية تستوقفنا لذاتها"[1].

إن الخطاب الأدبي لا يترجم ويعبر عنه إلا من خلال ذات هي في الأساس مبدعة، إلى ذات بقدرتها وملكتها الفذة، وحسها المرهف تحول ذاك الخطاب من خطاب عادي لتنقل به إلى أدبي بحت يتخذ من اللغة الجيدة والإبداع الفني مسلكا فتكون ريشة كاتبه تفيض بحبر الدلالة لا غير.

ويقدم **عبد السلام المسدي** في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" عدة تعاريف للخطاب الأدبي وهي لا تكاد تختلف في جوهرها إذ " إن الخطاب الأدبي قد أعتبر كيانا أفرزته علاقات معينة بموجبها التأمت أجزاؤه فقد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم"[2].

[1]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل أسلوبي في نقد الأدب ط01، الدارالعربية للكتاب ، تونس، 1977م، ص32.

[2]- المرجع نفسه ، ص90.

لهذا اعتبر مؤلفو "البلاغة العامة" أن ما يمكن أن يميز الخطاب الأدبي هو " انقطاع وظيفته المرجعية لأنه لا يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجيا وإنما هو يبلغ ذاته، وذاته هو المرجع والمنقول في الوقت نفسه (....) وأصبح الخطاب الأدبي من مقولات الحداثة التي تدرك تبويب أرسطو للمقولات مطلقا"[1].

كما أننا نجد **تودورف** قد توصل إلى تعريف الخطاب الأدبي على أن الشفافية قد انقطعت عنه، إذ هو خطاب شفاف نرى من خلاله معناه، ولا نكاد نراه هو في ذاته هذا بالنسبة للحدث اللساني.

[1]-عبد السلام المسدي : الأسلوبية و الأسلوب ،ص91.

المبحث الثاني:

أولا- أنواع الخطاب:

لقد تعددت أنواع الخطابات واختلفت باختلاف مرجعيتها ولقد قسمها لنا الباحث " **منذر عياشي** في كتابه " الأسلوبية وتحليل الخطاب" إلى ثلاثة أنواع على رأسها الخطاب القرآني أما النوع الثاني فإنما يخص الخطاب الإيصالي ويأتي ثالثا الخطاب الإبداعي.

أ-الخطاب القرآني:

إذا ما تلمسنا المادة في القرآن الكريم باستعمالاتها المختلفة، نجد أنها جاءت على النحو الآتي:

قال تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" سورة الفرقان: آية 63.

" ولا تخاطبني في الذين ظلموا " سورة هود: آية 37.

" ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" سورة المؤمنون: آية 27.

" فَقال أكفلنيها وعزني في الخطاب" سورة ص: آية23.

" وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب " سورة ص: آية 20.

"الرحمن لا يملكون منه خطابا" سورة النبأ: آية 37.

إذ ارتأينا إلى الخطاب القرآني " وجدنا اللغة تكتنز (...) وتختص بنفسها في الآن ذاته، لتكون إعجازا يصير الأداء فيه صورة على مثال منشئه من غير شبيه"[1].

[1]- أحمد جبر شعث: جماليات التناص، ط1، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014م، ص36.

وإذا كان المقصود (بالدين) في (الخطاب الديني) هو الإسلام ومنهم من يرى" أنه ليس بالضرورة أن يكون الخطاب الإسلامي هو نصوص الوحي من القرآن والسنة وإنما هو خطاب الإسلاميين في ضوء الثوابت في التعبير عن الرسالة التي يوجهونها إلى الآخرين في شأن من الشؤون أو مجموعة من القضايا العامة في زمن معين، وهو خطاب للجميع يأخذ بعين الاعتبار كل فئات المجتمع "[1].

إن الخطاب القرآني خطاب إلهي، لم يستطع أحد تسميته إلا كما سماه الله عزوجل في كتابه الكريم حيث سماه (الكتاب)، إنه مطلق ولا نهائي في دواله ومدلولاته وهو رسالة ربانية لجميع الناس دون الانتصار إلى فئة، إنه لا نهائي الدال والمدلول والتركيب.

ولعل ما ورد في كتابه الكريم قوله تعالى: چ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ چ چ ﴾
چ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ژ ﴿ ﴾ الحجرات:13

دليل قاطع وخير مثال أن الخطاب لم يوجد في الأرض إلا لغاية التي أوجده لها خالق البشر هي التواصل والتعارف بين الأمم.

إن هذا الخطاب منفرد عن غيره من الخطابات وفي كل مستوياته الصوتية، والمعجمية، التركيبية والإيقاعية، أصواته منسجمة ألفاظ لا تقبل التعدد تراكيبه مطلقة وإيقاعه لا نهائي، خطابه منفرد ليس كمثله شيء، وإن أهم ما يميز الخطاب القرآني هو مرجعيته إنه لا يترجم وإنما تشرح مدلولاته بكل اللغات فهو بالترجمة يفقد إعجازه في مستوى من مستوياته، وإن لم يكن بها جميعا فلم يستطع أحد ترجمته.

ب- الخطاب الإيصالي:

---

[1] محمود سليم محمد هياجنة: الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م، ص19.

إن عملية الإيصال لا تكون إلا بوجود الأقسام الثلاثة: "المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، قد ذهبت بعض الدراسات الحديثة إلى دراسة هذا النوع من الخطاب تحت إسم la pragmatique النفعية أو التداولية"[1].

إن هذا الخطاب يخضع عفويا ودون تكلف أو إعمال للذهن إلى قضاء المكونات القاعدية المتعارف عليها: صوتا أو نحو وصرفا وتركيبا.

تبدأ مرجعية الخطاب الإيصالي النفعي من الخطاب وتنتهي بالمرسل حيث يعبر عن ذلك "منذر عياشي" في أحد مقوماته أن الخطاب هو بالضرورة فعل الكلام.

كما يعرج تودوروف للحديث أن الخطاب الإيصالي يشد هذه القاعدة بأدوات غير لغوية وأن اللغة هي جزء من أهداف الإيصال.

ج-الخطاب الإبداعي:

يقوم الخطاب الشعري الإبداعي على ستة عناصر "كما حددها جاكبسون، تغطي كافة وظائف اللغة بما فيها الوظيفة الأدبية، فلقد وجد أن السمة الأساسية التي من أجلها وجد النص هي الإتصال (...) والتي فصلها جاكسون في نظرية الإتصالcomminicationtheory"[2].

لقد كانت تلك الأنواع المقدمة في الخطاب إنما هي من وجهة نظر الباحث منذر عياشي فقد قام بطرحها فشملت ثلاث عناصر فيما عرف منها بـ الخطاب القرآني والخطاب الإيصالي وأخيرا الخطاب الإبداعي .

أما بحوث أخرى فإنها تقسم الخطاب إلى نوعين، نوع يعرف بالخطاب المباشر الذي "يراد به مجرد وصف المتكلم المذكور بدون التعبير عن أي حكم قيمة صريح أو عنكلماته

[1]- عيسى متقي زاده، وآخرون : تحليل الخطاب الأدبي في مقامات الهمذاني، ص104.

[2]- المرجع نفسه، ص 104.

ولنتصور عبارة مثل أمكم تقول: تعالوا حالا يا أولاد فالمتكلم يجعل نفسه مجرد ناطق باسم الأم ومع ذلك فاستخدامه لصيغة القول أو الخطاب المباشر لنقل القول يمكن أن يتم لإضفاء مسحة عاطفية على الموقف مثل الاستعجال أو الغضب أو غير ذلك من المشاعر"[1].

في حين يقف أصحاب قسم ثاني ويقدمون أشكال الخطاب الكبرى على أنها خطاب غير مباشر وهو "يتولد عند امتصاص خطاب الآخر وأدائه بطريقة غير حرفية، مما يتطلب تحويل (...) وتعديل ضمائره وإشاراته كي تتسق في اتجاهاتها وإحالاتها، الأمر الذي يجعله مختلفا عن الخطاب المباشر إذ يقوم القائل هنا بإعادة صياغة الكلام الذي ينقله متوخيا الدقة في نقله حينا أو إيجازه واقتطاع بعض أجزائه حينا آخر"[2].

نلاحظ من خلال ما تقدم أن الخطاب الغير مباشر يبدو أدق، أين يتطلب هذا الخطاب صياغة الكلام والخوف من الوقوع في الخطأ فهو مكمل في جزيئاته ما جعل منه خطابا متميزا، إلا أن هذا لا يمنعنا من إسقاط النظر إلى الخطاب المباشر على اعتباره هو الآخر يتميز بالعفوية وهذا يقودنا بالضرورة للقول إن كلامنا بصفة عامة هو كلام أو خطاب مباشر كان أو غير مباشر، يشكل هذان الثنائي معيارا ومقياسا هاما في الخطاب.

" إن اختلاف الخطاب في اللغات الطبيعية من حيث حجمه فيرد جملة أو سلسلة من الجمل أو نصا متكاملا يختلف من حيث نمطه فيكون خطابا سرديا أو خطابا وصفيا أو خطابا حجاجيا أو خطابا فنيا أو خطابا علميا إلى غير ذلك من الأنماط الخطابية المعروفة"[3].

إن ما علينا أن نقوله في هذا المقام إن الخطاب لا يمكن حصر أنواعه في نوع أو نوعين بل إنه يتعدد بتعدد تلك الجهات التي يندرج منها أنواع الخطاب فكما هناك الخطاب القرآني هناك خطاب آخر هو خطاب إبداعي إلى جانبه خطاب إيصالي.

---

[1]-صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط01، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، 1996م، ص128.

[2]-المرجع نفسه، ص129.

[3]-أحمد المتوكل:الخطاب و خصائص اللغة العربية،دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ،ط1،الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان ،الرباط ،2010،ص21.

وفي جهة أخرى خطابات تتصف بالمباشرة وخطابات أخرى غير مباشرة، لهذا نخلص للقول أن الخطاب لا يمكنه أن يخضع للثابت في أنواعه فكما يقال "لكل مقام مقال" ونحن نقول إن لكل "خطاب نوع" هذا كوجهة نظر خاصة فقط.

في حين يقترح التنميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفا منطلقا فيه من أحد المعايير التالية: الموضوع والآلية والبنية.

" تصنف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني وخطاب علمي وخطاب أيديولوجي أو سياسي (..) وتصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى الخطاب الفني (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصيدة شعر وغيرها أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردي والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي "[1].

وهناك تقسيمات أخرى لأنواع الخطاب شملت مايلي:

1-الخطاب السياسي:

إن هذا الخطاب يختلف عن "غيره من أنماط الخطاب بخصائص ومميزات، وينفرد برؤية خاصة، فالذي يهتم بتحليل الخطاب هو المتخصص في الفلسفة السياسية (...) فمجال الخطاب ينطلق من الخطاب في دراسة السياسة أو المجتمع "[2].

لقد عبر لنا الباحث **عبد الرحمن بودرع** أن المجتمع يعبر عما ينتجه من أنشطة مختلفة في الثقافة والسياسة والاجتماع والعمران والإبداع بالخطابات كما أننا في بعض الأحيان " قد نجد للخطاب السياسي سياقا آخر يرجى به تهدئة الشعب الثائر وصرفه عن ثورته ووعده

[1]-أحمد المتوكل :الخطاب و خصائص اللغة العربية ، دراسة في الوظيفة و البنية ، ص28.

[2]- عبد الرحمان بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي والسياسي قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر، ط01، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015 م، ص 13.

بغد أفضل على نحو ما نجده في خطب الرؤساء والعرب الذين ثارت عليهم شعوبهم وخرجت الجموع إلى الشوارع تنادي برحيلهم "[1].

إن الخطاب السياسي خطاب يعد بدرجة أولية متعلق في جانب منه بالسلطة سواء كان ذاك سلبا أو إيجابا.

هو "يتوافق مع السلطة في أغلب الأحيان ويختلف معها في بعض الأحيان وقد يتخذ الحيادية في أحيان أخرى، إذ هناك أدب سياسي يحمل رسالة الخطاب السياسي المعبر عن السلطة وسياستها في الداخل والخارج "[2].

إن الخطاب السياسي يعبر عن أحد وجوه الخطاب النهضوي فهو "يرجع إلى نفس الحقول المرجعية كما أنه يستعير النماذج نفسها التي استعارها الخطاب النهضويويتمحور حول القطبين نفسهما (...) التراث والحداثة "[3].

إذ إن هروب الخطاب السياسي إلى الماضي وتقديسه يعتبره الباحث "مبروكة الشريف جبريل" إنما يفضح عجزه عن ممارسة السياسة ذلك أن هذا الخطاب عندما ينطلق من المستقبل ليولي وجهه نحو الماضي فإنه يعبر عن عجزه عن ممارسة السياسة في الوقت الحاضر.

2-الخطاب الوصفي:

[1]- عبد الرحمان بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي و السياسي قضايا و نماذج من الواقع العربي المعاصر، ص17.

[2]- محمود شاكر الجنابي: دراسات في الخطاب السياسي الأندلسي عصر المرابطين والموحدين وبني الأحمر، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2013م، ص 19.

[3]- مبروكة الشريف جبريل: الخطاب النقدي العربي المعاصر خطاب الجابري نموذجا، ج1، ط01، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ليبيا، 2005م، ص 186.

يهمنا في هذا أن نتعرف على محل الخطاب الوصفي حيث إنه " خطاب يسعى لتحقيق منفعة مباشرة في المقام الأول بالتأثير في المتلقي وجدانيا أو فكريا أو كليهما في آن، وتغيير موقفه في الاتجاه المطلوب "[1].

إن الوصف يخترق أنواعا عدة من الخطاب لهذا أعتبر عاملا مساهما في بناء النص والتوسع فيه منتظما بحكمه ولا يخفى فيما لهذا الوصف من خاصية مميزة وسبب الاتصال فيما عرف في البلاغات القديمة بالتحديد (définition) "[2].

لعل يمكن التعبير أن الوصف أشد وقعا وأبعث على إثارة الشعور بالوحشة يحرص القائم به على تأكيد تناهي أصوات الوحوش الكاسرة بل ضوضاء الجان إلى سمعه عندما يخيم الظلام، لاسيما إذا تعلق الأمر بالخطاب في موقعه الأدبي.

ومن هنا نستطيع القول بأن الخطابات أنواع متعددة: فمنها الخطاب الديني ومنها الخطاب الإبداعي، ومنها الخطاب الأدبي ومنها السياسي ومنها الفلسفي ومنها الخطاب العلمي ومنها القانوني ومنها التربوي... إلخ.

" إذن ما من شك في أن الخطابات متعددة متنوعة، إلا أنها قد تتلاقح فيما بينها أي ثمة صلة ما – أحيانا– بين خطاب وخطاب أو خطابات، فقد تجتمع في علاقة اعتماد متبادلة فنجد نصا يعتريه ويختلجه مجموعة من الخطابات في علاقة تعالقية تشابكية، تتبادل الرنين فيما بينهما " [3].

ثانيا: القوانين المتحكمة في الخطاب:

[1]– محمد الناصر العجيمي: الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم، الشعر الجاهلي أنموذجا، ج01، 02، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م،40.

[2]– المرجع نفسه، ص41.

[3]– محمود سليم هياجنة :الخطاب الديني في الشعر العباس إلى نهاية القرن الرابع هجري ،ص18.

وهي مبادئ أو حكم سائرة تتحكم في أصول الخطاب، اقترحها بول جرايس في مقاله " المنطق والحوار " (1975 م) ويمكن أن تنطبق هذه القواعد عل الحوار العادي كما تنطبق على الحوار الأدبي وغيرها من الأجناس الأدبية وهذه المبادئ هي:

وفقا لجرايس[1]:

أ-**العلاقة المباشرة:** ينبغي أن يكون حوارك ذا علاقة مباشرة بالموضوع بمعنى أن تجعل مشاركتك في الحديث مرتبطة بالإطار الحالي للموضوع.

ب-**الكم:** عليك أن تجعل مشاركتك في الحديث بالقدر المطلوب، أي أن يتضمن حديثك المعلومات الضرورية دون زيادة عن المعرفة المطلوبة.

ج-**الكيف:** ينبغي على المتخاطبين المشتركين في حديث ما أن يقولوا شيئا ملائما عند هذه النقطة من تطور أو سير الحديث، وعليهم أن يتجنبوا الإبهام والإطالة غير الضرورية.

د-**النوع:** حاول أن تجعل مشاركتك أو إسهامك في الحديث الجاري أصدق ما يكون.

إن هذه المبادئ نقول عنها أنها تسهم بطريقة فعالة في بناء فحوى الخطاب الأدبي.

ثالثا: عناصر الخطاب:

ليس هناك خطاب إلا يدور فيه هذه العناصر وهي:

أ-المتكلم أو المبدع:

إن المبدع يمتلك المقدرة على نقل الأفكار في أشكال وطرق وعليه فإن الخاصية اللغوية يمكن أن تثير انفعالات متعددة ومتميزة وذلك تبعا للسياق الذي ترد فيه حيث يعبر عن ذلك المتكلم انه يمثل " ذات محورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير

[1]- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ط1، دار نوبار للطباعة، 1996م، ص 55،56.

عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد من خلال بناء خطابه باعتماده إستراتيجية خطابية (...) فالمتكلم هو الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتمايزة"[1].

ب-المرسل إليه (المتلقي):

إن المتلقي هو " سمة من سمات التواصل المكتوب، وقد يكون حاضرا في التواصل الشفوي، وذلك على مثال الجمهور العريض الذي يستمع إلى قصيدة من إلقاء شاعر، أو مشاهد لعرض مسرحي أو حفل فني ساهر، فهؤلاء يأخذون سمة المتلقي رغم أن العمل مرسل إليهم لعدم حضورهم "[2].

كما عبر على أن المرسل إليه في التواصل المكتوب " هو ذلك الذي يحدد على أنه هوية واقعية أو متخيلة يوجه إليها الرسالة المؤلف النصي ويشكل جزءا من حالة النص ذاتها، ويقع داخل حدود التخييل وينبني النص بناء على وجهات نظر وبذلك يمكن اعتبار المرسل إليه القارئ الداخلي بكونه يتخلل بنية النص، واعتبار المتلقي القارئ الخارجي بكونه غير مؤثر بشكل مباشر في بنية النص "[3].

إن ما يمكن ملاحظته أن المتلقي يمتلك حاسة التوقع والانتظار، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار فإنه يمتلك قيمة البيان الأسلوبي، إنه يمتلك طاقات وإمكانيات لغوية، والمبدع الفنان هو الذي يمتلك ناصية هذه الطاقات بحيث لا يكتفي بأداء المعنى وحده وبأوضح السبل، وإنما يجب أن يكون الوضوح في أجمل ثوب.

أما الأنموذج السيميائي التواصلي وضح مكونات الخطاب على النحو الآتي[1]:

---

[1]– يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2014م، ص177.

[2]– إبراهيم عبد السلام صافار: التصور القرآني في بنية النص التراثي الجاحظ أنموذجا، فعاليات مؤتمر النقد الدولي الحادي عشر (تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر)، ص 362.

[3]– المرجع نفسه ، ص362.

[1]– رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، ط02، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،2009م، ص106.

أ-**حقل الخطاب:** العلاقة بين النص والموضوع.

ب-نوع الخطاب: العلاقة بين (المخاطب والمتلقي) اللغة المكتوبة والمنطوقة.

ج- فحوى الخطاب: العلاقة بين المخاطب والمتلقي في بعض مقامات التفاعل الاجتماعي.

في حين كشف البحث النقدي على النقاط الآتية[1]:

أ- هوية الخطاب ووظيفته: هو ذات، حركة، زمن، يصوغ، يقول، يتمرد، يكسر، الحواجز.

ب- يشكل الخطاب انطلاقا من المرجعية، فالشعر ينجب الخطاب الشعري والسرد ينجب الخطاب السردي وغيره.

إننا إن أمعنا النظر إلى هذه العناصر مجتمعة (المرسل إليه، والمتلقي) نجدها تتمتع بخاصية التزاوج فما الإنتاج الأدبي في إنتاجه إلا ويمر على هاتين الثنائيين، إذ لا نتصور منتجا خاضعا لمجرد إرسال من مرسل فقط، لهذا كان لابد من حضورهما في أي عمل أدبي.

ج-الرسالة (النص في حد ذاته):

إن النص (الرسالة) من السلوك اللغوي الذي يمكن أن يكون مكتوبا أو منطوقا، ويرى كل من "رقية حسن" و"هاليدي"أنه:"أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة "[2].

إنه الشكل الصوتي لمجموع الكلام أو الشكل المرئي منه عندما يترجم إلى المكتوب بتعبير آخر، الخطاب هو الموضوع المجسد، أما رسالته فهي " نتاج لغتنا العلمية "[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 106.

[2]- محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008م ص20.

[3]- بشير إبرير :"**من لسانيات الجملة إلى علم النص**"،مجلة التواصل ،عدد 14،عنابة ،جوان 2005م،ص84.

وصفوة القول: يجمع الخطاب بين المكتوب والملفوظ لغة، متشعلا في التواصل غاية، وصانعا أنماطه اللغوية الخاصة إبداعا كما يمكننا القول أيضا أن الخطاب الأدبي يجري بين مرسل إليه ومتلق للرسالة ضمن عملية الاتصال، كما نلمس من عناصره أيضا فعلا هو الإنجاز القولي والفعلي له، فهو يتضمن طرفي الاتصال والمقصد منه والأدوات المستخدمة في التأثير، إضافة إلى الرسالة (النص) التي تعد هي الأخرى عنصرا أساسيا في تكوينه.

رابعا: مقومات الخطاب الأدبي:

ما الذي يجعل الخطاب الأدبي يؤدي وظيفة جمالية تأثيرية إلى جانب وظيفة التواصل والإبلاغ؟

إن الخطاب الأدبي حسب جاكبسون خطاب لغوي تواصلي تهمين فيه الوظيفة الشعرية دون أن تغيب الوظيفة التواصلية، وهذه الهيمنة لا تعني عنده إهمال باقي الوظائف أثناء الدرس والتحليل إذ اعتبر هيمنة الوظيفة الشعرية على الوظيفة المرجعية لا تطمس الإحالة وإما تجعلها غامضة.

إن تحول الدلالة من المعنى المفهومي أو الوضعي إلى المعنى الجمالي هو ما يدخل في صميم عملية الإنزياح والشعرية عند تيار الشعرية البنيوية وعلى رأسهم جون كوهن وميشال ريفاتير إذ اعتبروا أن مصدر ذاك الجمال في الخطاب الأدبي إنما يرجع لذاك الإنزياح.

في جانب آخر فإن النص نظاما لغويا يبنى بكيفيات مخصوصة تدل على استغلالها إمكانات اللغة وطاقاتها الهائلة، وذلك لبناء طريقة منفردة في التعبير تحقق للخطاب بعديه الجمالي والدلالي، وتجسد رؤية الأديب وموقفه الإنساني ويبدو أن مهمة من يتصدى لدراسة خطاب ما تتمثل في الكشف عن مظاهر ذاك الجمال وتجلياته بالتأمل الدقيق في عناصر

اللغة الأدبية على مستوى الإفراد والتركيب وعندما يحاول المتلقي تصور الخطاب فإن هذا التصور ينبغي أن يكون مبنيا على حقائق الأدبية.

أ-المظهر الجمالي:

يتبوأ هذا المظهر مكانة مرموقة في خصائص الخطاب الأدبي "فكل خطاب متلفظ به يكشف على الدوام موضوع وجهته وقد حدد بعد وجرى تقويمه (...) فهو مسكون ومتخرق بالأفكار العامة ووجهات النظر المعبر عنها وأحكام الآخرين وتعريفاتهم الخطاب يلتقي خطاب الآخر ويتقاطع معه من جميع الجوانب والطرق المؤدية إلى موضوعه "[1].

فكل نص أو خطاب أدبي يبدو أنه يتحمل الانتقال الموضوعي من سلاسل الجمل المكونة له إلى العلم المتخيل الذي يتسع أفقه بحسب رؤى القراء المتلقين للخطاب، وتتطابق أحيانا مناحي الأسلوب وطرائق الخطاب وهذه الأساليب هي:[2]

أ-**الخطاب المسرد أو المروي:** ويعني المباشر الذي تحدد فيه وظيفة الشخصية والراوي في الحكاية كجنس أدبي.

ب-**الخطاب المحول (الأسلوب غير المباشر):** وطريقته تتم فيها نقل الأقوال المنسوبة إلى إحدى شخصيات الرواية مثلا، بتكثفها ودمجها في خطاب الراوي.

ج-**الخطاب المنقول:** وتكون الكلمة فيه نابعة من شخصية العمل.

ب- المظهر الدلالي:

تهتم الدلالة بالمعنى وطرق تكوينه في النص الأدبي وبالمستويات اللغوية المتعلقة

[1]- عبد السلام المسدي : الأدب و خطاب النقد ،ط1،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ،لبنان ،2004م، ص38.

[2]- أحمد جبر شعث : جماليات التناص ،ص38.

به حيث "تتآلف الكلمات في علاقات دالة بموجب نظام السببية فيها، والغيابية علاقة معنى وترميز، فهذا الدال يدل على ذاك المدلول وهذا الحدث يستدعي حدثا آخر"[1].

انطلاقا مما قدم من مقومات الخطاب الأدبي (جمالية ودلالية) يمكننا أن نقول أنالنص أو الخطاب عملية إبداعية والإبداع عملية جمالية، والجمال حالة تعتري المتلقي على اختلاف أصنافه إذ أن الجمال والدلالة هي التي تمد الخطاب بخاصية التميز والإنفراد عن غيره بالإضافة إلى خاصية الانزياح (الخروج عن المألوف) التي تسهم في صناعة جمال ذاك الخطاب الأدبي.

إن هذه الأفضلية التي منحت للخطاب الأدبي لم تكن نهائية بل إن هناك من اعتبر أن هذا الخطاب ما هو إلا "جسم عجيب زئبقي يشبه السمكة في البحر عبثا تحاول إمساكه باليد، فهو ينفلت حتى من ذاته، ومن السلطة والأنظمة الجامدة كي يؤسس عالمه المتميز ومن ثمة منهجه المنبثق من صلبه، وعناده، وقواعد خطاب المنهج"[2].

يكاد يكون هذا الانفلات الذي يعتري الخطاب كسر وخرق لجموده، فهو ينفلت من المسكة المنهجية "إن الخطاب الأدبي كالحرباء التي تتغير ألوانها بحسب المحيط والأمكنة التي يختارها في التمويه"[3].

ما الخطاب الأدبي إذن إلا كيان فوضوي بالأصل يعمل ضد النظام، ويسعى إلى اختراق مجاله وانتهاك مبادئه، لذلك فشلت المناهج النقدية التي طاردته، وحاولت الإمساك به، بل هو فوق المناهج التي غالبته، فغالبها، وتجاوز أطروحاتها غير المجدية، لهذا يمكننا القول أنه صنع التميز من خلال انقلابه ذاك.

---

[1]- أحمد جبرشعث: جماليات التناص، ص 39.

[2]- رابح بوحوش: معضلة الخطاب الأدبي وأزمة المفاهيم النقدية (نحو سلطة الخطاب الأدبي)، ضمن كتاب (تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر)، ط1، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديثة ، إربد الأردن، 2008م، ص 671.

3- المرجع نفسه، ص 671،672.

خلاصة الفصل:

إن تحديد مصطلح الخطاب وكذا الخطاب الأدبي جرعة فكرية، وبادئة حميدة وإطلالة لازمة لتهيئة الباحث والمتلقي في آن، ولعل ما يمكن ملاحظته –مما سبق–أن:

– الشرعية التي تأسست عليها معاجم اللغة في تفسيرها وتجليتها لمعنى الخطاب هي شرعية مستمدة من أصل الوضع اللغوي للمادة، أما لفظ الخطاب اصطلاحا، فيظهر بمعان شتى، تختلف تبعا لطبيعة الموضوع الذي يشكل لحمته وسداه.

– يسير مفهوم الخطاب تبعا للمضامين والأغراض التي يسعى لتحقيقها بيد أن البحث يبقى، في سياق تصور الباحث، في إطاره الضيق إذ لم يسع إلى تلمس معنى الخطاب اصطلاحا لدى أهل الاختصاص.

– إن دراسة ظاهرة الخطاب من حيث المفهوم لم تعد موجودة بزي التخفي، بل أصبحت تشكل حضورا متميزا لدى أهل الدراية من علماء (اللسانيات، أدب، لغة، نقد...) والأطروحات المقدمة في الخطاب خير شاهد على ذلك.

– إن التنوع الذي عرف به الخطاب على مستوى أنواعه يشكل هو الآخر ميزة وخاصية فريدة.

– إن الخطاب الأدبي هو جمال في حد ذاته لاسيما أنه يتناول خصائص تجعله بصفة أولية يظهر بمظهر (دلالي، جمالي).

الفصل الثالث

مقدمة الكتاب

يقول أبو حيان في مستهل كتابه "الإمتاع والمؤانسة "

بسم الله الرحمن الرحيم

" نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين، وظفر بالفوز والنعيم من قطع طعمه من الخلق أجمعين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه وعلى آله الطاهرين"[1] .

أول ما يلفت إليه القارئ نظره من خلال فاتحة هذه المقدمة استنادها على " الخطاب الديني" فالبسملة تعد لازمة أساسية عند توجيه هذا الخطاب، إضافة إلى ذكره لفظة "الحمد" من خلال قوله " الحمد لله رب العالمين"، كما واصل التحدث أيضا بثلاث جمل مفيدة تعد من صميم الدين (الزاهدين، العارفين، الآخرة).

لنلاحظ بعد ذلك التتابع بالفصل "أما بعد" هذه الأخيرة التي تظهر كعادة خطبة الجمعة، ونجد بعد ذلك مجد الخطبة متأصل في هذه المقدمة أين يقول التوحيدي: "أما بعد، فإني أقول لنفسي، ولمن كان من أبناء جنسي"[2].

لاشك أن هذه الجملة التخاطبية التي اعتمد عليها التوحيدي في مقدمة الكتاب أعطته سلطة الخطاب الديني هذا الأخير الذي عرجنا عليه سلفا في أنواع الخطابات.

لعل ارتكاز أبو حيان على جانب من جوانب الدين يجعل من كتابه هذا أكثر قوة ومصداقية، فالتجربة الدينية تجربة فردية يحياها الأديب، إنها انفعال يخضع لآليات باطنية لا يمكن الوقوف على معرفة جميع الأسباب الداعية إليها، إذا إن الفن والدين يلتقيان في نقطة مهمة وجوهرية، وهي اليقين.

---

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، مقدمة الكتاب بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، ص33.

[2]–المصدر نفسه ، ج01، ص33.

هذا إذا نظرنا إلى ما حملته مقدمة هذا الكتاب أما إذا تصفحناه صفحة بعد أخرى وجدناه ثري وجامع بين الموضوعات الفلسفية والأدبية أو حتى الغوية سنحاول إسقاط الضوء على تلك التصورات.

أولا : التصورات ا لفكرية:

قبل أن نخوض في غمار الحديث عن هذه التصورات نقول في البداية أن الفكر سيبقى على الدوام جوهر الإبداع الفني، إنه أساس التميز، لهذا قدمت هذه التصورات على أساس أنها إبداع "أبي حيان التوحيدي".

أما ما سوف أقدمه في هذه الدراسة عن أهم تلك القضايا التي أثيرت في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" كقضية الصراع بين الأصلي والدخيل (المفاضلة بين البلاغة والحساب، أسبقية النثر على النظم أو العكس، كذلك بين البلاغة والحساب، ، كذلك بين النحو والمنطق...) فضلا عن القضايا اللغوية والمسائل الأدبية التي سأحاول تفصيل القول فيها.

إن هذه التصورات التي طرحها التوحيدي في كتابه، إنما يمكن اعتبارها مست جانب الأدب بشكل واسع، لهذا نقول:

- ما هذه التصورات؟.

- هل استطاع التوحيدي أن يقدم آراء ومواقف صريحة؟.

1 - قضية المفاضلة بين النظم والنثر:

النظم والنثر وجهان لتعبيرات الإنسان الفنية وإبداعاته، لكل واحد ميزاته، ولقد طرح لنا " أبو حيان" في كتابه " الإمتاع والمؤانسة " هذه القضية وبالتحديد ما جاء في ثنايا الليلة "الخامسة والعشرون"، ومما لوحظ على هذه الليلة أن التوحيدي قرر بطريقة أو بأخرى الإفادة من هذه الطبيعة الجدلية للقضية مستلهما خطة محكمة تدعيما حجاجه أين يتخذ من تناصاته آلية فعالة في التعبير على رأيه.

إن الأصوات تتداخل وتتداعى تبعا لتشهد بأفضلية النثر على النظم، حاملة بذلك براهين موقفها، فلكل شيء محاسن ومساوئ ولكن حين تطغى محاسن الشيء على مساوئه فليس أمامنا سوى جعله في درجة عالية عن الآخر، يقول "التوحيدي" متناصا مع قول (أبي عابد الكرخي) معتبرا أن النثر والنظم " زائنات وشائنات فأما زائنات النثر فهي ظاهرة، لأن جميع الناس في أول كلامهم يقصدون النثر، وإنما يتعرضون للنظم في الثاني بداعية عارضة، وسبب باعث وأمر معين"[1].

بل إنه يزيد بقوله "لا يجوز أن يقابله ما يدحضه " [2] فيستند في حجته إلى شرف النثر بأن "الكتب القديمة والحديثة النازلة من السماء على ألسنة الرسل بالتأييد الإلهي مع اختلاف اللغات كلها منثورة مبسوطة "[3].

ويكفي النثر أن الإنسان لا ينطلق في أول حاله (طفولته) إلا بالمنثور من الكلام، أين كانت دلالة قول "ابن كعب الأنصاري" سوى تدعيم لدلالة الأقوال السابقة (شرف النثر) ذلك في "أن النبي –صلى الله عليه وسلم–لم ينطق إلا به أمرا وناهيا، ومستخيرا ومخبرا وهاديا وواعظا، وغاضبا وراضيا، وما سلب النظم إلا لهبوطه عن درجة النثر، ولا نره عنه إلا لما فيه من النقص، ولو تساويا لنطق بهما، ولما اختلفا خص بأشرفهما الذي هو أجول في جميع المواضع "[4].

إن ما يمكن أن نلاحظه في هذا القول أنه مستندا على الدين بدرجة كبيرة وكذلك فيما يتعلق الأمر بالحجج السالفة الذكر إذ اتخذت من الدين الذي يعتبر كسلطة ركيزة أساسية في أقوالها وهذا من غير اللائق، فليس من المتوقع أن يجادل وعلى هذا الأساس، حتى وإن لم تتجلى ملامح هذه السلطة مباشرة إذ بمجرد إدراج الكتب السماوية واعتبارها منثورة وليست منظومة ،وأن أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام نثر غير نظم كل هذا يحمل دلالة خفية

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص250.

[2]– المصدر نفسه ، ج02، ن ص.

[3]– المصدر نفسه، ج02، ن ص.

[4]– المصدر نفسه، ص251.

متعلقة بسلطة الدين التي على حد قول الكرخي "لا يجوز أن يقابله ما يدحضه، أو يعترض عليه بما يحرضه"[1].

يعرض أبو حيان في مساره الخطابي وتحديدا في هذه القضية أصواتا وآراء مضادة ومفندة للأصوات السابقة التي أعطت للنثر الأولوية وحكمت له بشرف المنزلة وعلوها، مقابل ذلك انتقصت من منزلة النظم معتبرته "فرعا".

في مقابل ذلك هناك آراء مضادة، إنها تؤسس لهدم حجج الفريق الأول ودحضها.

وفي هذا الوقت يأتي موقف التوحيدي الذي يختار من مخزونه التذكري ما يستطيع مجابهة سلطة الدين، دون أن يصطدم بها، وهنا نطرح تساءل كيف عرض لنا التوحيدي موقفه دون الوقوع في تلك السلطة وهل هذا يعني أنه ينفي ما للنظم من أهمية؟ أم أنه يدرجه بعد ذلك في موقفه؟.

يبدو أن التوحيدي قد عزم أن ينتقي من خطاب الآخر ما كان منطلقا من فكرة الوظيفة النفعية للنظم دون الجمالية، فالنظم عند الفريق المنادي به إنما يعتبرونه هو الحجة ذاتها إذ أن " الشواهد لا توجد إلا فيه، وحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء (...) يقولون: قال الشاعر : وهذا كثير في الشعر"[2].

وعلى هذا الأساس بالذات رأى **ابن بناتة** أن الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة ذاتها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذا الفريق إن النظم أشبه بحلبة المنافسة والتجويد في الإبداع فالجوائز لا ترصد إلا للشعراء "وإذا تتبعت هذه الحال لأصحاب النثر لم تجد شيئا من ذلك.

إن ما نلاحظ أن التوحيدي كان ذا طبيعة فلسفية، ولعلها خير دليل وراء تأرجحه بين محاورته لمتناصاته وامتصاصه لها، ثم تطويعها جسما يقتضي السياق الذي توضع فيه، إنه أعطى لنا محاورات في سياق النثر وأدلة أخرى لعلماء دعموا موقف النظم حيث يعبر في

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج02، 250.

[2]– المصدر نفسه ، ج02، ص252.

كتابه قائلا "فإذا كان الأمر في هذه الحال على ما وصفنا فللنثر وظيفته التي لا تنكر، وللنظم شرفه الذي لا يجحد ولا يستر".[1]

صحيح أن التوحيدي كان فيلسوفا ولكنه لم يحطا بسنن الفلاسفة في عصره، لقد كان من نوع سقراط يتأمل الحياة وقيم المعرفة والعقائد والمفاهيم فهو لا يملي آراءه ويفرضها بل يدعو الآخرين للمشاركة في البحث عن تلك الحقيقة الضائعة.

قضية المفاضلة بين النثر والنظم من منظور الباحثين:

لم تكن قضية المفاضلة بين النثر والنظم من المسائل الأدبية الجديدة في عصر التوحيدي، فقد أثارها العديد من النقاد القدامى والبلاغيين في مصنفاتهم وهذا ما أشار أبو حيان التوحيدي بقوله أن الناس قد قالو في هذين الفنين ضروبا من القول لم يبعدوا فيها من الوصف الحسن، والإنصاف المحمود، والتنافس المقبول ، هذا ما يقودنا للقول عنها أنها قضية أثارت شهية المبدعين والكتاب، لما تستلزمه طبيعتها من جدال ومناظرة بين فريقين، يطرح كل منهما حججه ودلائله ولقد ذكر "ابن رشيق" في كتابه "العمدة" أن كلام العرب منظوم ومنثور معتبرا أن الناس اجتمعوا على أن "المنثور في كلامهم أكثر، وأقل جيدا محفوظا، وأن الشعر أقل".[2]

كما ذكر أيضا في حديثه أنه" ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره، ولا ضاع من الموزون عشره".[3]

كما أثار أيضا "المرزوقي" قضية المفاضلة بين النظم والنثر والبحث في أمور منها، وذكر **المرزوقي** الأسباب التي أوجبت تأخر الشعراء مقابل أهل النثر (البلغاء) كما أوجبت أن يكون النثر أعلى منزلة من الشعر وهي الأول أن:

---

[1]– أبو حيان التوحيدي : الإمتاع و المؤانسة ، اج2، ص 253.

[2]– المصدر نفسه ، ص 249.

[3]– أب علي الحسن ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقدهن ط5، ج1، علق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر و التوزيع ، سوريا،1981م، ص20.

– ملوك العرب قبل الإسلام وبعده يتبجحون بالخطابة والإفتتان بها.

– والثاني أنهم اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة والثالث أن الإعجاز القرآني والحديث النبوي وقعا في النثر دون النظم.

أما الشعر فإنما هو "العلم بدقائق الأمور وقيل هو الإدراك بالحواس والشعر عند ابن سينا هو كلام مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاه، ومعنى كونها موزونة أن يكون لها عدد إيقاعي".[1]

إن أصحاب موقف النظم يقرون بأسبقيته على النثر وهذا ما يؤكده **الجاحظ** الذي يفضل الشعر على النثر ويجعل مقاييسه مصدر القياس للنثر، وهذا ما قرأه الباحث **عبد السلام المسدي** في مجمل حديثه عن الجاحظ وأوجزه معبرا عنه أن الجاحظ يكاد يجعل من الشعر رمزا للخلق الأسلوبي الأوفى لذلك نراه يخص نقد النثر ببعض المقاييس المستقاة من خصائص الحياكة الشعرية.

ونجد الرأي نفسه تقريبا عند **المظفر بن الفضل العلوي** حيث يقول أنه من فضيلة الشعر أن الكلام المنثور وإن راقت ديباجته، ورقت بهجته وحسنت ألفاظه، وعذبت مناهله إذا أنشده الحادي، وأورده الشادي، ومد به صوته المطرب ورفع به عقيرته المنشد لا يحرك الوجدان.

لقد وقف النقاد وفرقوا ما بين النظم والنثر وما يمكن أن نلاحظه أن لكل واحد منهم حججه ودليله فميزوا بين " الملكات النفسية القادرة على خلق الشعر، والملكات الأخرى التي تختص بالنثر فالنفوس الشاعرة نفوس حساسة بالضرورة تولد فيها حقائق الحياة والوجود ومظاهر الكون انطباعات عاطفية (...) ولذلك اعتبر المحدثون منشأة الإلهام واللاوعي"[2].

---

[1]– ابتسام السيد عبد الكريم علي المدني: بنية النص القرآني "دراسات موازنة بين البنى العقائدية و اللغوية و الفنية " ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ،2010م، ص30.

[2]– أحمد جمعة أحمد نايل: التحليل الأدبي أسسه وتطبيقاته التربوية، ط01، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر الإسكندرية، 2006 م، ص50.

نريد في آخر الحديث عن هذه القضية القول أن وفرة الجدل في تفضيل الشعر على النثر والعكس تم تدعيمها مسبقا بآراء التوحيدي يقود القارئ أو المتلقي ليتساءل لما نقوم بهذا، لكننا نقول أن نص أبي حيان ذاته وترتيب المواقف فيه فيقوم بذكر أحدهما ويختزل آخر ودعم الأول شواهد وإلحاق الثاني برأي كلها أمور من صنعة المؤلف لذا لا يمكن قراءة موقفه وحججه بمعزل عن موقف جامعها، وناقلها لنا وهو في نص أو بطبيعة الحال نص " الإمتاع والمؤانسة ".

إن قضية المفاضلة بين النثر والنظم الموجودة في كتاب الإمتاع والمؤانسة نعتبرها لؤلؤة فريدة متميزة في ذاك العصر ،كيف لا وهي عبرت عما يحمله ذلك العصر، إذ أن آراء التوحيدي ومحاوراته الموجودة بين أولئك العلماء، وخير دليل على أن قضية المفاضلة أثيرت في ذاك العصر بشكل جيد، وفي جانب آخر يمكن أيضا القول أن التوحيدي، ولئن أعتبر فيلسوفا من الطراز (السقراطي) فإن هذا لا يعني أنه قد تماهى في الثقافة اليونانية، وانسل من عروبته ،ولعل عرضه في كتابه في ليلة من لياليه "المفاضلة بين العرب والعجم" كانت دافع تأكيد عروبته، ودفع الظن بانحيازه للعجم ونعود للقول أن أبا حيان التوحيدي اعتبر الحديث في هذه القضية صعب فيورد في مقولته التي كانت كجواب للوزير السائل عن مراتب النظم والنثر أن "الكلام على الكلام صعب".[1]

إن تعبيره ذاك يدل على أن " الكلام على الأمور التي تعتمد على الشكل والصورة، وهي إما معقولة أو محسوسة يكون سهلا ميسورا بل متسعا متنوعا، أما الكلام على الكلام فهو صعب يدور على نفسه ويلتبس بعضه على بعض "[2].

إضافة لذلك فإنه إذا كانت الصعوبة بارزة في كل من النحو والمنطق- وكلاهما كلام على كلام-فالصعوبة في الكلام على كل من النظم والنثر غير خافية "[3].

---

[1] – أبو حيان التوحيدي :الإمتاع و المؤانسة، ص249 .

[2]– عصام بهى : الكلام على الكلام " قراءة في فكر أبي حيان الأدبي "، مجلة تواصل ، ص184 .

[3] – خالد بن محمد بن خلفان السيابي :نقد النقد في التراث العربي " كتاب المثل السائر نموذجا "، ط1، دار جرير للنشر و التوزيع ،عمان، الأردن ، 2010م، ص23.

وفي جانب آخر نقول في هذا المنحى بالذات أن التوحيدي ينسب الكلام في كثير من المرات إلى آخرين سواء **سليمان المنطقي** أو غيره وهذه حجة أخرى لتعبيره إن الكلام على الكلام صعب ،إذ أن ما يقوله هو في مقابل ما قاله هؤلاء العلماء يكون ذا طبيعة متسمة بنوع من الصعوبة، أما عن حديثه على لسان هؤلاء العلماء فكأنما يبدي رأيه مضافا إلى آرائهم وذلك ضمنا، وليس صراحة ليظهر أنه مجرد ناقل للآراء ليس بصانع لها، وهذا الأسلوب المعتمد من قبل التوحيدي راجع لسبب ضعفه أو عدم إهتمام لهذا الجانب.

إن هذه الفكرة بالذات يمكننا أن نقدمها تحت عنوان "نقد النقد" إذ يقول أن الكلام على الأمور المعتمد فيها وعلى صور الأمور وشكولها وأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه، ويلتبس بعض ببعضه، ولهذا شق النحو وما أشبه النحو من المنطق وكذلك النثر والشعر كذلك، "وهذا يمثل رافد أساسيا من روافد الحركة النقدية الأدبية قديما وحديثا، فهو بمثابة حركة متجددة لتداول الآراء النقدية ومناقشتها لناقد معين تجاه نص أدبي معين لتشكل مسارا متكاملا ومتواصلا ".[1]

وفي ختام هذه القضية –قضية النظم والنثر–نقول أنها قضية تثير الاهتمام وتلفت النظر، وبمجرد الاطلاع عليها تقودك لمعرفة ذاك الصراع المعرفي بين النظم والنثر.

أما ما نقوله في هذا المنحى أنه يجب أن تحكم قبضتنا التامة على هذا الموضوع فليس من الصواب جعل كل طرف على حدا، وإنما من الإجادة أن تضعهما في ميزان العدل كفة للنظم وكفة أخرى للنثر لنجعل الأدب يصل إلى غايته المثلى.

[1]– خالد بن محمد بن خلفان السيابي: نقد النقد في التراث العربي " كتاب المثل السائر نمودجا " ، ط1، دار جرير، للنشر و التوزيع ، عمان، الاردن، 2010م ن ص 23.

2- قضية المفاضلة بين النحو والمنطق:

أروم من خلال هذه الدراسة أن أتحدث عن مناظرة شهيرة أوردها أبو حيان التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" بين لغوي ونحوي معتزلي.

من أقطاب الحركة اللغوية وهو العالم "أبو سعيد السيرافي" ومنطقي مترجم انتهت إليه رئاسة المنطق في زمانه وهو "أبو بشر متى".

لقد كان مجلس الوزير الفضل بن جعفر مسرحا لإجراء المناظرة سنة 326هـ " القرن الرابع الهجري "، ومما لا يجادل فيه أن ذاك العصر إنما هو عصر الثقافة العربية والازدهار العلمي، ولما كان "أبو بشر متى" من علماء المنطق، أراد الوزير أن يفضح أمره أمام مجموعة من العلماء الذين يظنهم قادرين على محاجاة أهل المنطق، ومن هؤلاء " أبو سعيد السيرافي".

إن الأفكار التي نود إيرادها في هذه الدراسة، أفكار تتفرع عن الفكرة الأساسية أو المحورية إذ هي عبارة عن براهين اعتمدها "أبو سعيد" يرد بها على "متى بن يونس" وهي على النحو التالي:

طلب السيرافي من متى أن يحدثه عن المنطق قائلا:"حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنن مرضي وطريقة معروفة"[1].

فواجهه متى بالإجابة أنه يعني به أنه آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه.

فقال أبو سعيد أنه أخطأ، لأن كان صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالنظم المألوف والإعراب المعروف، هذا كان جزء من مناظرتهما بعد ذلك يواصل كل من متى وأبو سعيد السيرافي حديثهما فيما يخص النحو والمنطق بجدال وحجة كل واحد منهما.

[1]- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص90.

نستطيع القول أن السيرافي راح يقدم الدليل تلو الآخر عن حاجة النحوي إلى المنطق لمعرفة صحيح الكلام من سقيمه وعلى أن النحو منطق اللغة، ولا حاجة للمنطق اليوناني ما دام هناك نحو قائم في كل لغة مشيرا إلى أن تفكير العرب وغيرهم تفكيرا منطقيا، لا يعني بالضرورة أن يكون مستمدا مما وضعه اليونانيون، بل هو من وحي المنطق الطبيعي، والحقيقة أن المناظرة طويلة ومليئة بالإشارات وأحيانا يعتريها بعض الغموض فأول ما يلفت انتباهنا في هذه المناظرة هو بروز شخصية "أبو سعيد" وإطنابه في الردود وفي المقابل من ذلك نجد خفوت لصوت "متى" واكتفائه بالإجابة بالنفي أو الإثبات في كثير من الأحيان.

والذي يظهر كذلك من خلال هذا التحليل أن هناك حلقة مفقودة في هذه المناظرة، وإن كان يبدو عليها التماسك الظاهر.

لعل الصراع بين أنصار القديم والحديث والحساسية المفرطة أمام الدخيل كان الأساس أو القاعدة التي بنيت عليها هذه المناظرة، كما تدل أيضا على ردود أفعال الحاضرين والمناضرين لموقف السيرافي وعلى رأسهم "ابن الفرات" الوزير الذي قال في آخر هذه المناظرة ما بعد هذا البيان من مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار.

يمكننا أن نستخلص مجموعة أفكار أساسية وردت في هذه المناظرة ألا وهي:

1- الاختلاف حول الحاجة إلى المنطق اليوناني لمعرفة الحق من الباطل والصدق من الكذب.

2- إدعاء متى بن يونس أن المنطق إنما هو ميزان يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وهذا يمكن أن تعتبره يقابل الأفكار أو القواعد التي وضعت للشعر (عيار الشعر) حتى يكون مجادا صائبا.

3- موقف السيرافي من المنطق اليوناني وأنه لا حاجة إليه.

4- إشادة الوزير ومن معه بأفكار السيرافي.

نقول في آخر حديثا عن قضية النحو والمنطق وهذه المناظرة المقامة على أساس حجج وأدلة كل عالم أن موقف التوحيدي من خلال ما قدم يبدو ضمنيا وممارس عليه نوع من الاستتار فلا نكاد نلمس موقفه صراحة، بل يمكننا اعتباره موقف داخل أو منطلق من موقف هؤلاء العالمين، إذ قدم أطروحة كل واحد منهما مبنيا على ما كان يصبوا إليه كل واحد، فكان ذا موقف وسطي فهو يقع بين كفة النحو وكفة المنطق فلا أنه أعطى لهذه المناظرة دعما جديدا.

3- قضية المفاضلة بين العرب والعجم:

لقد فرض السياق أن يتحاور أبو حيان مع نصوصه، إذ سأله الوزير مباشرة عن رأيه بقوله " أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟ "[1].

فكان من جوابه: " قلت: الأمم عند العلماء أربع: الروم، والعرب وفارس، والهند، وثلاث من هؤلاء عجم، وصعب أن يقال: العرب وحدها أفضل من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع حالها، وتفارق ما عندها، أرى كلاما ما أريد بهذا الفرس: فقلت: قبل أن أحكم بشيء من تلقاء نفسي، أرى كلاما لابن المقفع وهو أصيل في الفرس، عريق في العجم، مفضل بين أهل الفضل"[2].

يفهم من جواب التوحيدي، أنه سوف يرجئ رأيه لحين عرض نصوص انتقاها من محفوظه التذكري.

إنه يسهل النصوص بنص لابن المقفع الذي عرف عنه حبه للعرب، وتفضيلهم له رغم كونه أصيل في الفرس، عريق في العجم، مفضل بين أهل الفضل، على حجة ودليل فشرع بتنفيذ حكمهم وصواب حكمه، مفندا حججه التي شملت فطرة العربي، وبيته، وفكره وعقله،

[1]- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص70.

[2]- أبو حيان التوحيدي :الإمتاع و المؤانسة ج1، ص70.

وختم حواره معهم ملخصا حكمه ومعللا له بقوله "إنهم أعقل الأمم لصحة الفطرة واعتدال البنية، وصواب الفكر وذكاء الفهم[1].

موقف التوحيدي:

لقد لخص القول السابق فكر التوحيدي ذاته تجاه هذه القضية، ولعل تناصه بهذا الأسلوب لمن الأمور التي تحسب له، فكلما أخفى المحاجج رأيه الشخصي في القضية محل الجدال، كان هذا أنجح لحجاجه، وأقوى تأثيرا في المتلقي، وبهذا يبدو المحاجج وكأنه لا يفرض موقفه الشخصي، لأنه يرى المتلقي شريكا له في قضيته وشريكا في إنتاج النص، وله حق التأييد أو الرفض، ولئن كان هذا ما يؤمن به أبو حيان فإن هذا لم يمنعه من أن يهيئ عقل متلقيه لمعرفة موقف مضاد لموقف (ابن المقفع) يقول التوحيدي "ولم يبق حينئذ ريب في عرفان الحق وحصول الصواب، إلا ما يلتاث بالهوى (...) فهناك يطيح المعنى، ويضل المراد"، وكان على رأس أولئك الذين أطاحوا بالمعنى وضلوا المراد يدعى (الجيهاني).

بدت القضية الحوارية في البداية موقف مضاد، ثم صارت تشبه مناظرة بين طرفين:

أحدهما: غائب حاضر وهو (الجهياني)، وهو الطرف المناوئ للعرب.

ثانيهما: من الحضور في مجلس الوزير وهم (أبو إسحاق الموصلي، والقاضي أبو حامد المروروذي، وأبو الحسن الأنصاري، وهو الطرف المدافع عن العرب، الذي يعرض أقوال (الجيهاني)، ويفندها ثم يدحضها بأدلة تدفع أقواله وتنقضها.

في جانب آخر يمكننا القول أن قضية المفاضلة بين العرب والعجم لم تكن وليدة عصر التوحيدي فهي ضاربة جذورها إلى القرن الأول الهجري من العصر الأموي، بيد أنها ظهرت للعيان في بدايات العصر العباسي تحت مسمى (الشعوبية).*

4-المفاضلة بين قضية البلاغة والحساب:

---

[1]- المصدر نفسه،ج1، ص71.

*الشعوبية: نزعة ظهرت في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم، وتحاول الحط منهم وتفضل عليهم العجم.

ليست البلاغة بشيء منفصل عن الأدب، بل هي جزء أساسي من علومه ،وهي التي عكف عليها العلماء ووقفوا عليها معظم جهودهم، ولما كان العصر العباسي هو عصر بلاغة بدرجة أولية، عصر الزخرفة الفنية فإننا سنحاول من خلال هذه القضية معرفة موقف التوحيدي منها.

هل هو يفضل علم الحساب على اعتباره علم دقيق؟ أم أنه يضرب به عرض الحائط ويعطي للبلاغة حجة وأفضلية؟.

يعرض التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" عرضا دقيقا لقضية شغلت الفكر وعلى مدى طويل، شغلت علماء الأدب بصفة خاصة، إنه يجري مقارنة بديعية بين علمين مستقلين علم الحساب، وعلم البلاغة أيهما أنفع أو أقل بين العلوم الرياضية وفنون الأدب فقد كان هناك من فضل الأولى على الثانية لأن الأولى حد والثانية هزل والأولى مستندة إلى مبدأ موصولة بغاية وحاضرة والثانية شبيهة بالسراب، غير أن هذا الرأي يرد عليه التوحيدي في ثنايا كتابه بقوله إنه لا غنى لأن بها تقام الحجة (يعني البلاغة) فهي تبدأ بأفكار عقلية ثم تمر خلال ألفاظ ،وأخيرا تستقر في خط، وأما أن الدولة يكفيها منشئا واحدا (يعني به محاسب) فليس حجة على شيء بدليله أننا نحتاج إلى خياطين أكثر مما نحتاج إلى أطباء.

يعتبر رأي التوحيدي واضحا في هذه القضية مدافعا عن أمر البلاغة إذ يقول ردا عن قول الوزير أن البلاغة هزل والحساب جد بقوله "البلاغة هي الجد، وهي الجامعة لثمرات العقل، لأنها تحق الحق، وتبطل الباطل على ما يجب أن يكون الأمر عليه (...) وهذا هو حد العقل والآخر حد العمل"[1].

ونحن إذا رجعنا إلى أمر البلاغة من جهة العلماء نجدها تتطابق هي الأخرى مع ما جاء به التوحيدي فقد اعتبروها أساس الكلام كله فلعل" السر في أن الإقناع يعتمد على البلاغة، إن ضروب المعرفة تعتمد على العقل المجرد وتثبت بالدليل القاطع، ولكن الإثبات

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص85.

ليس معناه الإقناع لا يكون بغير السيطرة على النفس والسيطرة على النفس لا تتم بغير البلاغة لأن البلاغة تسيطر على الفكر والوجدان معا" [1].

فيذكر الرماني أمر البلاغة في رسالته النكت في إعجاز القرآن فقال "البلاغة هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"[2].

والملاحظ أن هدف البلاغة هو توصيل المعاني إلى القلوب والتأثير في نفوس المخاطبين وذلك باختيار الأساليب البلاغية المناسبة والألفاظ الفصيحة، وأن يكون الكلام جميلا في ألفاظه ومعانيه، محكم التأليف، حسن اللفظ.

ولما كان للبلاغة كل هذه القيمة عند التوحيدي فلا داعي لذكر علم الحساب ما هو غير"سلة الخبز"[3]، يسعى له الكبار والصغار فقط لأنهم إليه أحوج، ولا يدل على أن الطبيب دون الخياط.

إنني على ثقة من أن هذه المحاولة التي قام بها التوحيدي بالغة الأهمية، إذ أنه قارن بين قضيتين طال عليهما الأمد وتشعبت فيها الآراء، وتعددت فيها مذاهب الباحثين، وإنني مؤمنة بضرورة هذه القضية، فإذا أردنا أن نبني حاضر الأدب على أساس ماضيه، وأن نستفيد من جهود آبائنا كان واجبا علينا أن نمنح البلاغة أحقيقتها من البحث والدراسة، إنها تحتاج إلى إعطاءها حجج أخرى لتأخذ أصالتها حجج دقيقة، إن رأي التوحيدي رأي ثاقب كيف لا وهو أديب يدافع عن مذهبه الأدبي ومن أصدق ما جاء في حديث هذه الليلة قول أبي حيان بضرورة التثقيف لمن يتصدى للكتابة الأدبية مع التواضع في تقديره لنفسه والرجوع إلى غيره، وإن كان دونه في الدرجة وليس في الدنيا محسوب (أي ليس فيها أحد) إلا وهو محتاج إلى تثقيف والمستعين أحزم من المستبد..." ومن لطيف ما قاله في التفرقة بين كتاب يكتب

---

[1]– أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، د ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996م ، ص64.

[2]– بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي،ليبيا، 2008م، ص26.

[3]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص86.

وحديث يقال، أن الكاتب لا يشفع له خطأه أن يكون قد أسرع في الكتابة، فليس يعلم القارئ أأسرعت في كتابة أم أبطأت وإنما ينظر أصبت فيه أم أخطأت وأحسنت أم أسأت.

5- قضية القديم والعتيق:

مما جاء في كتاب التوحيدي أيضا قضية القديم والعتيق ففيما تتمثل يا ترى هذه الفكرة عنده؟

كان من جواب التوحيدي "أن العتيق يقال على وجهين، فأحدهما يشار به إلى الكرم والحسن والعظمة (...) والآخر يشار به قدم من الزمان مجهول"[1] أما القديم فإنهم يقولون عنه "هذا الشيء قديم وبنيان قديم ويسرحون وهمهم في زمان مجهول المبدأ "[2].

مما يقودنا إلى التعبير أن العتيق هو الذي يدرك حديث جنسه فيكون بالنسبة إليه عتيقا أو يكون شيئا يطول مكثه ويبقى أكثر ولهذا لا يقال إن السماء عتيقة وإن طال مكثها لأن الزمان لا يؤثر فيها ولا يوجد من جنسها أما القدم على الخلاف من ذلك.

إضافة لقضية "العتيق" و "القديم" التي تحدث عنها التوحيدي في كتابه يأتي إلى جنبها قضية أخرى شغلت الفكر وعلى مر العصور ألا وهي:

6- الفرق بين الحادث والمحدث والحديث؟

كان من جواب التوحيدي على هذه القضية أن:

الحَادثْ: ما يلحظ نفسه.

المُحدَثْ: ما يلحظ مع تعلق بالذي كان عنه محدثا.

الحَديثْ: كالمتوسط بينهما مع تعلق بالزمان ومن كان منه.

إننا نجد التوحيدي يفرق بين هذا وذاك من حيث مفهوم كل واحد منهم آخذ في الوقت نفسه هذه المفاهيم تحت قضية أولية ألا وهي قضية العتيق والقديم.

---

[1]-أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص45.

[2]-المصدر نفسه ،ج1،ن ص.

7-أبو تمام والبحتري:

أبو تمام من شعراء الطبقة الثالثة من المحدثين، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين برز في ظرف مميز، وهو حركة الترجمة الواسعة لعلوم الأوائل من اليونان والفرس والهند فتشبع بكل تلك العلوم وتلكم الثقافات حتى اتسع خياله ورسم لنفسه مذهبا خاصا به هو تجويد المعاني، وتسهيل العبارة حيث استكثر من الحكم في شعره ،واستدل على الأمور بالأدلة العقلية والمنطقية، أما البحتري فهو بتعبير القدماء أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر منه ولا بعده من هو أطبع منه في الشعر ولابد منه في الخيال الشعري، ابتعد عن مذاهب الحضريين وتعمقهم وفلسفتهم فكان شعره كله بديع المعنى حسن الديباجة، صقيل اللفظ، سلس الأسلوب لذلك اعتبره كثير من الأدباء "الشاعر الحقيقي" ، واعتبروا أمثال أبي تمام" حكماء لسهولة شعره ورقته حتى أن شعره كان أكثر شعر يغنى في عصره.

أما تعبير التوحيدي من خلال كتابه عن "أبو تمام" و "البحتري" كان في موضع سأل فيه الوزير التوحيدي عن اعتقاده فيهما فكان من جوابه: " إن هذا الباب مختلف فيه، ولا سبيل إلى رفعه، وقد سبق هذا من الناس في الفرزدق وجرير، ومن قبلهما في زهير والنابغة (...) لكن حدثنا أبو محمد العروضي عن أبي العباس المبرد قال: سألني عبيد الله بن سليمان عن أبي تمام والبحتري، فقلت: أبو تمام يعلو علوا رفيعا، ويسقط سقوطا قبيحا والبحتري أحسن الرجلين نمطا وأعذب لفظا "[1].

يتابع أبو حيان حديثه في كتابه أن المذاهب تختلف مذهبه الخاص معتمدا في موقفه المقدم على ذكر مجموعة من الأمثلة والعديد من العلماء الذين عبروا عن هذه الفكرة فكان من هؤلاء وعلى سبيل المثال الحصر "أبو حامد المروروذي" الذي ذكر التوحيدي على لسانه أنه منذ أربعين سنة وهو يجتهد مع أصحابه البصريين في تصحيح أن بغداد أطيب من

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج03، ص392.

البصرة إذ يقول: "أنظر إلى فضل ومرعوش– وهما من سقط الناس وسفلتهم– كيف لهج بهما وبالتعصب لهما حتى صار جميع من بغداد إما مرعوشا وإما فضليا" [1].

ما يمكن أن نلاحظه من خلال هذا أن التوحيدي من خلال حديثه الذي أورده على أنه لأبي حامد المرووذي يظهر بموقف أنه لا يجوز الانقياد لأي كان فقد ينجر ذلك إلى تتبع حتى من هو أقل علما.

لكن الوزير وقف عن هذه الفكرة قائلا أن "هذا كله تعصب وهوى وتماحك وتكلف"[2].

من خلال ما عبر عنه التوحيدي نجد أن هذه الفكرة تكاد تكون مطابقة لما ذكره في بداية حديثه عن أبي تمام والبحتري فإن تخلف أحدهما عن الآخر نقول أنه لا يجوز تعصب للطرف الأول على اعتباره أنه أصل والآخر وإنما آخذ عنه، بل على أي من تناولهما في بحوثه أن يعطي لكل واحد حقه من الدراسة.

7–قضايا لغوية:

إلى جانب القضايا الأدبية التي عبر التوحيدي عنها نجد القضايا اللغوية التي اعتنى بها كذلك في كتابه، فمنها ما تعلق بالفروق اللغوية فيذكر المعنى ويحشد النصوص التي تدعم فكرته ورؤيته اللغوية ومن ذلك ما ذكره بقوله مجيبا عن سؤال الوزير حول السجية فدار بينهما ما يلي:

قال الوزير: أدام الله سعادته– ما السجية؟

أبو حيان: سمعت الأندلسي يقول فلان يمشي على سجيته، أي طبعه.

قال: هل يقال: ظفرت عليه؟

قلت (أبوحيان): قد قال شاعرهم

---

[1]– أبو حيان التوحيدي :الإمتاع و المؤانسة،ج3 ، ص393.

[2]– المصدر نفسه ،ج3 ، ن ص.

وكَان قُرَيْشٌ لَوْ ظَفَرْنَا عَلَيْهُم

شفَاءٌ لماَ في الصَدْر والنُقْص ظاهرَ

قال (الوزير): هذا حسن.

أبو حيان: الحروف لا تتعدى إلى الأفعال، والأفعال لا تتعدى بالحروف يراعى فيها السماع فقط لا القياس، هذا كان مذهب إمامنا أبي سعيد.

ومما ذكره التوحيدي أيضا وبالتحديد في الليلة الثلاثين أحاديث في اللغة ،وقواعدها إذ سأل الوزير أبا حيان "عن لفظه سراويل يذكر أم يؤنث ويصرف أم لا"[1]، فكان من جوابه أن علي بن عيسى سأل المبرد عما إذا كان الواحد في صيغة الجمع ما يصنع به في الصرف في مثل: هواميل، سراويل وما أشبهه.

فقال المبرد: ألحقت بالجمع فامنعه الصرف لأنه مثله وشبيهه كانت هذه إحدى القضايا اللغوية التي ألقيت من طرف التوحيدي.

أما عن رأي علماء الاختصاص في هذه الناحية فإن علماء الصرف استقروا على أن الحروف لا تتعدى في أي حال من الأحوال مطلقين على هذه الأحرف "أحرف الزيادة" وهي مجموعة في عبارة " سألتمونيها " .

ما يمكن إدراجه في هذا المنحنى أن اللغة تلعب دورا مهما عند "أبي حيان" لاسيما من ناحية تحويل المعلومة إلى حكاية ومن خلالها يستطيع أن يقرب أكثر الموضوعات.

"إن اللغة هيكل عظمي، أو قالب محدد، هي القواعد الأساسية للغة، هذه القواعد لا تتغير ولا تتبدل، لأنها تشكل قوام اللغة وشخصيتها التي تدل عليها، وقواعد اللغة العربية سهلة هينة، وما اعتقاد البعض بصعوبتها إلا بسبب سوء تقديمها له، وفشل الأسلوب الذي درسها به "[2].

---

[1]– أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج02، ص288.

[2]– سميح أبو مغلي : المرجع السهل في قواعد النحو العربي" اللغة العربية 99"، ط01، دار البداية، عمان، الأردن، 2012م، ص05.

لهذا يقودنا هذا التعريف على أن تقديم التوحيدي لبعض تلك المسائل بتلك الطريقة يجعلنا نحسم القول عنه إنه فعلا شخصية الفكر المبدع والأديب الفذ، أين تناول تلك المسائل وكأنه متخصص في جانبها فكانت أحكامه دليلا آخر على إطلاعه على علم اللغة (النحو).

ثانيا- التصورات العقلية:

يحتل موضوع التصورات العقلية مكانا واسعا في الأبحاث المعرفية على اعتبار أن العقل إنما يمثل هو القوة الناطقة التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، بل هو يشكل جوهر ذلك الفكر، فبالعقل يقتنى الإنسان العلم وكذا الصناعة، لهذا اعتنى أبو حيان بهذا الجوهر الفريد معبر عنه في كتابه " الإمتاع والمؤانسة" على أساس مجموعة من التصورات خصت جانب منها العقل(قضية العلم، المعرفة،...) أما الأخرى فخصت جانب من القضايا (النفس، السكينة، الفضيلة،...) أما تحليلنا أو وجهتنا في هذه الدراسة ستكون هي معرفة تلك التصورات التي مست العقل أو المعرفة وأخذها بعين الدراسة والفحص وعما إذا كان التوحيدي في كتابه عبر عن تلك التصورات بصيغة مباشرة أم أنه يقدمها مستندا على أقوال العلماء كما عرف ذلك في تصوراته الفكرية؟

فكما طرحنا سؤالنا عن تصورات التوحيدي الفكرية نقدم هذا الطرح كذلك عن تصوراته العقلية.

- فما هي هذه التصورات؟

1-قضية النفس:

تثير قضية "النفس" فكر العديد من العلماء خصوصا أنها تشترك مع الروح لتحرك الإنسان، فسر هذه الإنسانية يكمن في ذواتها إنها مفارقة للبدن خارجة عن عالم الأشياء لهذا عبر أبو حيان في موضع من كتابه "الإمتاع والمؤانسة" وبالتحديد في الليلة الثالثة عشرة «أن الكلام في النفس صعب»[1]، لهذا اعتبرها بعض الفلاسفة أنها تفعل بذاتها من غير

[1]- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ج01، ص139.

حاجة إلى البدن لأن الإنسان إذا تصور بالعقل شيئا فإنه لا يتصوره كما يتصور الألوان بالعين والروائح بالأنف.

يبدو التوحيدي صريحا في موقفه عن النفس أين اعتبرها لا تموت لأنها أشبه بالأمر الإلهي من البدن، إنها قابلة للأضداد فهي جوهر.

بعد أن استقر في مفهومه أنها سر إنسانية الإنسان، أصبحت قضية النفس من أهم القضايا الفلسفية التي طرحها أبو حيان في كتابه، إذ لا تقل في أهميتها عن قضية العقل، فالإنسان إنسان بالنفس لا بالروح ولا الجسد وإلا لاستوى بروحه وجسده مع سائر الحيوانات فيورد في كتابه، ولم يكن الإنسان إنسانا بالروح بل بالنفس، ولو كان إنسانا بالروح لم يكن بينه وبين الحمار فرق بأن كان له روح ولكن لا نفس له، فالنفس:« إذا طربت(...) أعني خبت ولحظت الروح الذي بها تحركت وخفت فارتاحت واهتزت».[1]

كما أنه من بين ما عبر عنه التوحيدي في كتابه وبالتحديد في الليلة التاسعة أنه مادامت إنسانية الإنسان يكمن سرها في النفس فلابد أن تكون هذه النفس القوية (العاقلة) وليست النفس العصبية أو الشهوانية، إذ ينوط بالنفس العاقلة أن تحكم هيمنتها على النفسين معا، وإحكام الهيمنة يخرجها من الوجود بالقوة إلى الوجد بالفعل إنها ستكون في صراع بين طرفين، تتحدد قوة أحدهما أو ضعفه بحسب درجة هيمنته على الآخر وكذا الحال مع الطرف الآخر، هذا مفهوم الصراع الذي أسس عليه أبو حيان نسقه التصوري (النفس = محارب)، إذ عبر كذلك عن ثنائيتين هما العقل / النفس، ومزج بينهما في كثير من الخصائص.

وأدوات الشيء الذي جعل أبا حيان يعزي إليهما كل فضل وشرف يحصلها الإنسان في حياته، إن ميز دورهما، وأحسن استغلال كل واحد منهما ومن فعل ذلك علا بما فيه من نفسه وجوهر يقول التوحيدي « أن الإنسان بين طبيعته وهي عليه وبين نفسه وهي له كالمنتهب المتوزع، فإن استمد من العقل نوره وشعاعه قوي ما هو له من النفس، وضعف

[1]– المصدر نفسه،ج1، ص 150.

ما هو عليه من الطبيعة وإلا فقد قوة ما هو عليه من الطبيعة، وضعف ما هو له من النفس.»

ما يمكن استخلاصه من قوله هذا أن قوة النفس لدى أبي حيان مصدرها نور وشعاع من العقل فهي تستضيء بنور العقل إن كانت على الفطرة السليمة، أما إن ران على النفس آراء فاسدة فإنها تغدو كالمصباح المظلم، فالانحراف على النهج القويم سبب كافي في ظلمة النفس.

إلى جانب ما طرحه التوحيدي فقد أثار قضية أخرى ارتبطت بقضية النفس ألا وهي قضية المعادن النفسية(العلم والمعرفة و الفضيلة).

كان أبو حيان معنيا بقضية العقل، إذ به يمتاز الإنسان، ويتميز عن غيره من الموجودات فهو أساس العلم وسائر الفضائل.

بعدما حدثنا التوحيدي طويلا عن أمور النفس وما تعلق فيها من معادن نفسية خص كتابه بجانب للحديث عن السكينة هذا المفهوم الذي يعد من بين التصورات العقلية التي عني بها وعبر عصور مديدة خاصة من طرف علماء الدين.

إن أولئك يسعون للبحث عن السكينة النفسية أو فيما عبر عنه في كتاب التوحيدي السكينة الإلهية لهذا تساءل: ما السكينة عند التوحيدي؟

يعبر التوحيدي على لسان أبا سليمان أن السكينة أنواع (طبيعية، نفسية ، عقلية، وإلهية ....) يقوم بعدها بشرح كل نوع على حدى، ليصل التوحيدي إلى موقف صريح من هذه القضية على أنها قضية اعتنى بها الفلاسفة لا غيرهم لأنهم أحوج لمعرفة أحوال الإنسان ونفسه وكذا باطنه.

نلاحظ من خلال ما قدمه التوحيدي أنه اعتنى بالعقل جيدا وهذا ما يدل على أنه فيلسوف وأديب محكم العقل بدرجة أولية ،فالعقل عنده أساس هذه التصورات ،وهذا يقودنا

للعقل عنده أساس هذه التصورات وهذا يقودنا للقول على أن أبا حيان قد تمكن من ولوج عالم الفكر بشكل جيد وما قدم من انجازه العقلي خير مثال.

2- بؤرة ا لتجديد لدى الأديب :

إطلالتنا مع أبي حيان التوحيدي تجعلنا نقول أنه استطاع أن يوفق بين متضادين الجدية في الطرح والمرونة في الخطاب، كما استطاع أن يذيب الحدود الجدلية بين الفكر والمتعة في خط واحد وذلك ليس باليسير فهو العالم المفكر والمسامر الذكي مع الإجادة في الإرسال بمسحة من الروح الطلقة ،ويجمع أيضا بين أطراف المتناقضات المعقدة بسلامة ،ويسر دون الإحساس بالصعوبة، فبالعودة إلى عصر التوحيدي، وبالضبط عشرة قرون نلمس حال مفكر أخذ على عاتقه بناء عقل جديد إنه وجه المثقف الحديث مع كل الأزمنة لأنه يريد أن يضع مستحدثا من المعرفة أساسه الحوار ، لقد وجه العقل إلى تصور متفتح على الآخر إنه طموح مفكر يريد تحقيق معادلة الإنسان المتناسق معرفيا، لقد كان المفكر يريد تحقيق معادلة الإنسان المتناسق معرفيا، لقد آمن التوحيدي بمقولة شيخه الحافظ: « عقل غيرك تزيده في عقلك» وتطبيقا للحكمة القائلة: « من شاور الناس شاركهم عقولهم».

إن التوحيدي وظف ذاكرته الشفوية مما أكسب كتابه حشدا كبيرا من الموضوعات إذ يعبر التوحيدي أن الكتاب يتصفح أكثر من تصفح الخطاب لأن الكاتب مختار والمخاطب مضطرا.

وإذا كان التوحيدي وفيا لأستاذه الحافظ فلم يخرج عن المألوف في ذلك وعدد الألسن بين السياسي والزعيم والراوي والشاعر والإمام واللغوي والفيلسوف... إلخ، فهو يرصد ويعلق في زخم علمي وثقافي خطة إبداعية خاصة.

نسقية التوحيدي تستحق الاطلاع عليها وبعثها من جديد في ظل التأثير الناجم حاليا من ألوان كثيرة للمدارس ،والآراء العربية والحديثة والمعاصرة ،وحتى اليونانية القديمة كما في تراثنا من كنوز فكرية تستحق نفض الغبار عنها، وإعادتها إلى الساحة من جديد لمعالجة مشاكلنا الفكرية واللغوية لتحقيق فعل التواصل بين الأجيال.

فكر التوحيدي بناه على تنوع ثقافي وحضاري فجاء بناء لمسؤولية معرفية تفرض ذاتها وعلى كل باحث يقف على المختلف الذي يفيد لأن التوحيدي يبدو عليه الاطلاع على التراث اليوناني المترجم ،وخاصة فكرة الدراما والصراع فيها ومقابل ذلك احترم الذوق العربي الذي لم يعتاد على الصراعات الفنية والمعقدة ،وخاصة في وصف الأعماق البشرية الشديدة التشابك أيضا، فكان التوحيدي فنانا في اختيار أصوله الفلسفية التي كان سبب دوره الفكري ، لقد صاغ التوحيدي الأسس الفلسفية كتفسير العملية الإبداعية في نصوص نقدية تصف تلك العملية في صورة واقعية علمية.

خلاصة للفصل :

من خلال معاينة نتاج من النتاجات الأدبية التراثية في القرن الرابع الهجري كتاب " الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي وتحديد حدود الخطاب الأدبي الموجود فيه وصلت لهذه النتائج:

– ساهمت تلك المسامرات التي أجراها التوحيدي مع الوزير إلى بعث تلك التصورات والمسائل ومن ثم إنعاش الثقافة ورفع الأدب.

– استقراء هذه التصورات جعلنا نتعرف على حدود ذلك الخطاب المرسوم وعلى كشف خبايا تلك اللغة.

– من المتعارف عليه أن الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف ،وما يمكن أن نلاحظه في سلسلة محاورات ومسامرات التوحيدي أنها طبقت هذه الفكرة.

– أثناء تحليلنا لحدود الخطاب الأدبي في الكتاب لمسنا نظاما متينا بالرغم من وجود اضطراب خارجي (البيئة) للمؤلف.

– نخلص إلى أن حجج ومواقف التوحيدي على إثبات قضية أو نقيضها بدت جد مترابطة من خلال الصيغ والبراهين المقدمة

– أياً كان فاالكتاب ممتع مؤنس كاسمه يلقي نورا على العراق في القرن الرابع أعني في العصر البويهي .

– يبدو أن التوحيدي لا يعرف الحدود المصطنعة التي نعرفها اليوم ،كما يبدو أن الثقافة الإسلامية ممثلة با اللغة العربية قد ألغت الحواجز النفسية و العرقية والدينية لدى مثقف ذلك العصر الذي بدا لنا منفتحا على الثقافات الأخرى.

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة الكشف عن حدود الخطاب الأدبي عند التوحيدي ممثلة في كتابه هذا، فخرجنا إلى أنه قد حقق تركيبة خاصة ونوعية جاوز من خلالها تصورات فكرية إلى أخرى عقلية، لهذا أصبح الأدب عنده فعل ممارسة الثقافة.

خاتمة

الخاتمة:

أفضت بنا هذه الدراسة التي حاولنا من خلالها الكشف عن المظاهر الفنية في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" وتوجهات الخطاب الأدبي فيه إلى مجموعة من النتائج:

-أثناء تحليل كتاب الإمتاع والمؤانسة لمسنا نظاما متينا بالرغم من اضطراب خارجي لدى الأديب.

-إذا كان الأدب العباسي من بين العصور الملازمة للأدب العربي فإن أبا حيان هو الآخر أديب لازم العصر العباسي فأبدع الكثير في هذا العصر .

-العصر العباسي ألهم الأديب بالروائع وفتح له عوالم من الإبداع ما كان ليحلم به.

-لقد استطاع التوحيدي أن يقدم من خلال نشاطه الإبداعي صورة مشرفة لوجه المثقف الملتزم بقضايا أمته.

-إن التراث العربي لا يزال قادرا على العطاء والتعبير عن العصر الجديد لأنه يحمل في أعماق جذوره الأصالة والتجديد معا.

-إن أدب التوحيدي سيفا قاطعا أمام خصومه، خاصة في عصر كثر فيه المبدعون وعلت فيه أصوات الأدباء.

-قضية الإبداع الأدبي قضية شائكة ،فمنذ العصور الأولى للأدب العربي و الكتاب يتعرضون لها، إلا أن "التوحيدي " بكتابه هذا مثلها أتم تمثيل ،وهنا نقول أن هذا الأدب إنما هو أدب راقي يجعل من يبحث فيه يخرج بقضايا و فروع يمكن أن تجعل من أسلوبه أسلوب أديب فذ .

-إن من يستطيع أن يفهم أدب كأدب "التوحيدي "نقول أنه أصبح يتمتع برأي ثاقب، وتفكير مفعم بالفنية و الجمال الأدبي .

-إن فكر التوحيدي نوع من القوة في الطرح فلا يمكن فصل مواضيعه وحتى لا يمكن الإتيان بمثله .

-جل الآراء النقدية التي وردت في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" ومعظم القضايا التي طرحها قد نسبها إلى آخرين ،حَّتى إنه لم يعط رأيه في الكثير من الأحيان مما يجعلنا نقول على أنها يمكن أن تكون طريقة في الكتابة.

قائمة المصادر

و المراجع

القرآن الكريم

المصادر:

- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، د.ط، شركة شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006م.
- أبي حيان التوحيدي علي بن محمد التوحيدي: الرسالة البغدادية، تج: عبود الشالجي، ط01، منشورات الجمل ،ألمانيا، 1998م.

المراجع:

1–مقدمة أبي حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، تح: أحمد أمين والسيد أحمد الصقر، د.ط، لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، 1951م، مقدمة أحمد أمين.

–أحمد محمد سليمان: ياقوت الحموي وكتابه إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء (دراسة تحليلية ونقدية)، ط01، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، 2009م.

– أحمد جمعة أحمد نايل: التحليل الأدبي أسسه وتطبيقاته التربوية، ط01، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006م.

– أحمد أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، د.ط، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة) ، 1996م.

–أميمة صبحي: حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، ط01، دار كنوز للمعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2015م.

– ابتسام السيد عبد الكريم علي المدني: بنية النص القرآني، "دراسات موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية"، ط01، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2010م.

- إبراهيم عبد السلام صافار: التصور القرآني في بنية النص التراثي، الجاحظ أنموذجا.

- أديث كيرزويل: عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو، تر: جابر عصفور، د.ط، منشورات آفاق عربية، بغداد، 1985م.

36- أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، الرباط، 2010م.

- البشير التهالي: الخطاب الإشتباهي في التراث اللساني العربي، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2013م.

- خالد بن محمد بن خلفان السيابي: نقد النقد في التراث العربي "كتاب المثل السائر نموذجا"، ط01، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.

3-ابن خلكان: وفيان الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، د.ط، دار صادر، بيروت، 1994م.

-جمال الغيطاني: "خلاصة التوحيدي" مختارات من نثر أبو حيان التوحيدي، د.ط، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1995م.

- دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، 2008م.

- سميح أبو مغلي: المرجع السهل في قواعد النحو العربي "اللغة العربية 99"، ط01، دار البداية، عمان، الأردن، 2012م.

- سعيد يقطين: بنية الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التتئير)، د.ط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1997م

-سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ط01، دار المسيرة، للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2011م.

-شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي " العصر العباسي الثاني"، ط12، دار المعارف، القاهرة، 1966م.

- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط01، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، 1996م.

-رابح بوحوش: "معضلة الخطاب الأدبي وأزمة المناهج النقدية"، ضمن كتاب "تحولات الخطاب النقدي العربي المعاصر"، ط01، جامعة اليرموك، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2008م.

- بن عيسى باطاهر: البلاغة العربية مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2008م.

4-كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج04، تر: عبود الحليم نجار، ط05، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1119م.

5

67-محي الدين اللاذقاني: آباء الحداثة العربية مدخل إلى عوالم الجاحظ والحلاج والتوحيدي، ط02، مؤسسة الانتشار، بيروت، لبنان.

89-محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، ط01، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004م.

1011

12-محمد عبد المنعم خفاجي: الفكر النقدي والأدبي في القرن الرابع هجري، رابطة الأدب الحديث.

1314

1516

17

18
19
2021
22- مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط01، كامل المهندس، مكتبة لبنان،1979م.
.23
.2425
26- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر (دراسة تحليلية نقدية)، ط01، مركز دراسات الوحدة العربية، دار الطليعة، بيروت، 1982م.
27- ميشيل فوكو: نظام الخطاب، تر: محمد شيلا، ط01، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان، 1984م.
2829- محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ط01، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012م.
3031- عمار ساسي :منهج الجواب في آليات تحليل الخطاب، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2011م.
32- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب، ط01، الدار العربية للكتاب، تونس، 1977م.
33- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ط05، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2014م.
34- محمد سليم محمد هياجنة: الخطاب الديني في الشعر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م.
3537
38- محمود شاكر الجنابي: دراسات في الخطاب السياسي الأندلسي عصر المرابطين والموحدين وبني الأحمر، ط01، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2013م.

39- مبروكة الشريف جبريل: الخطاب النقدي العربي المعاصر- الخطاب الجابري نموذجا، ج01، ط01، دار الكتب الوطنية، بنغازي -ليبيا- 2005م.

40- محمد الناصر العجيمي: الخطاب الوصفي في الآدب العربي القديم "الشعر الجاهلي أنموذجا" ، ج01، ج02، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003م.

41- علي عزت: الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، ط01، دار نوبار للطباعة، القاهرة، 1996م.

42- يوسف تغزاوي: الوظائف التداولية وإستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ط01، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، 2014م.

4344-رابح بوحوش: اللسانيات وتحليل النصوص، ط02، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2009م.

4546-محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط01، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، 2008م.

47-عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.

المعاجم :

- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.

- ابن منظور: لسان العرب، ضبط وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، ج04، ط01، دار صبح وادي سوفت، بيروت، لبنان، 2006م.

- الزمخشري: أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج01، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م

المجلات:

1–زينب عبد الأمير القيسي: "الاغتراب في أدب أبي حيان التوحيدي"، مجلة كلية الإمام الأعظم، الجامعة العراقية، كلية التربية للبنات.

2–محمود إبراهيم: أبو حيان التوحيدي، مجلة فصول "النقد الأدبي"، العدد الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995م.

3–جابر عصفور: أبو حيان التوحيدي، مجلة فصول "النقد الأدبي"، 1995.

4–عسى متقى زاده وآخرون :"تحليل الخطاب الأدبي في مقامات الهمذاني"، مجلة إضاءات نقدية، س01، عدد03، أيلول 2011م.

5–بشير إبرير: من لسانيات الجملة إلى علم النص، مجلة التواصل، عدد14، عنابة، جوان2005م.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة .....أ، ج

الفصل الأول

توطئة.....5

المبحث الأول أبوحيان التوحيدي

1- إسمه.....5

2- أصله.....5

3- خصائص أسلوبه.....7

4- بيئته الثقافية.....10

5 **موسوعيته**.....12

6- مؤلفاته.....13

المبحث الثاني: نبذة عن كتاب "الإمتاع والمؤانسة"

هيئة الكتاب.....19

دراسات عن التوحيدي.....21

وفاته.....22

خلاصة الفصل.....23

الفصل الثاني: الخطاب والخطاب الأدبي

المبحث الأول: في مفهوم الخطاب

أ- لغة.....25

ب- إصطلاحا.....26

المبحث الثاني أنواع الخطاب.....35

أ- الخطاب القرآني.....35

ب- الخطاب الإيصالي.....37
جـ- الخطاب الإبداعي.....37
هـ- الخطاب السياسي.....39
د- الخطاب الوصفي.....41
ثانيا: القوانين المتحكمة في **الخطاب**.....42
أ- العلاقة المباشرة.....42
ثالثا: عناصر الخطاب.....42
أ- المتكلم أو المبدع.....42
ب- المرسل إليه.....43
ج- الرسالة.....44
رابعا: مقومات الخطاب الأدبي.....45
أ- المظهر الجمالي.....46
ب- المظهر الدلالي.....47
خلاصة الفصل.....49
الفصل الثالث: حدود الخطاب الأدبي في كتاب "الإمتاع والمؤانسة".....51
أ- مقدمة الكتاب.....51
ب- تصورات التوحيدي الفكرية.....52
*قضية المفاضلة بين النشر والنظم.....52
*قضية المفاضلة بين النحو والمنطق.....59
*قضية المفاضلة بين العرب والعجم.....61
*المفاضلة بين قضية البلاغة والحساب.....63
*قضية القديم والعتيق.....65

- قضية أبو تمام **والبحتري**.....66
ج-تصورات التوحيدي العقلية.....69
قضية النفس.....70
بؤرة التجديد لدى التوحيدي 72
خلاصة الفصل.....74
خاتمة.....76
قائمة المصادر والمراجع.....81

ملخص:[1]

إن العصر العباسي كان العصر الذهبي للحياة الفكرية ،وكان ازدهارها وليد التمازج بين ثقافات متعددة ،وكان لهذه الحَركة الفكرية عند العرب ثلاث محاور كبرى : الفلسفة و الكلام و التصوف و غاية الفلسفة التوصل إلى المبادئ الأولى عن طريق العلم ،ومع ظهور هذه المبادئ ظهر معها أدباء مثلوها ،فنشأ في حضن هذه البيئة أديب عرف بعلومه الكثيرة ،خط الأدب بعمق تفكيره فعمل على ترقية وإحكام القبضة على عديد الأفكار، ولئن كانت هذه العلوم قد تخطت ذلك المدى فإن الذي عبر عنها بلسان صادق "أديب الأدباء "،ولعل من أمتع ما خلفه العرب في أدبهم الفكري كتاب "الإمتاع والمؤانسة "،المبدع من طرف "أبو حيان التوحيدي "،لهذا فإن دراستنا تمحورت حول هذا الكتاب و حدود خطابه الأدبي ،تلكم الدراسة التي عبرت عن رقي فكر ذلك القرن و عمق تفكير علماءه.

الكلمات المفتاحية :الخطابالأدبي ،أبو حيان التوحيدي ،العصر العباسي ،حدود الخطاب

Résumé:

Lère abbaside était l'ere d'or de la vie intellectuelle qui s'est épanouie grâceà un métissage entre plusieurs et diverses cultures, ce mouvement intellectuel avait chez les arabes trois grands axes :la philosophie, la science de la parole et le souphisme, la philosophie s'est assignée l'objectif de déterminer les premiers principes à travers la science, sont nés avec cette renaissance intellectuelle les poètes et les égivaiues qui la représentent et la défendent.

Parmi eux figure un grand écrivain qui a pu retracé, grâces à ses idées, les profondeurs le ce mouvement intellectuel de a consacré sa vie à promouvoir ce mouvement en mettant la main sur plusieurs nouvelles idées, quoi que ces derniers ont franchi les limites qui étaient les leurs, il a pu les exprimer avec la mangue d'un grand poète honnête et sincère.

Parmi les inoubliables œuvres littéraires que les arabes ont laissées figure un livre qui s'intitules « la sensation et l'accompognement » écrit par ABU HAYAN EL-TAOUEHIDI sur lequel s'est concentrée notre étude laquelle vise à déterminer les portions du discours littéraire de cetére, la profondeur le ses idées et la riche réflexions le ses égivains.